روايات عبير



كارين فان درزي

لولا هيامي

١٦٠

١ـ لا وقت لدي

انهمكت جاكلين كثيراً بتهيئة حاجاتها خلال الأسابيع التي سبقت سفرها الى أفريقيا الغربية، فبدت كلعبة أوتوماتيكية تدور بجنون واضطراب وسط دوامة من نشاط متزايد. فلا بد لها من الحصول على تأشيرة الدخول اللازمة، واجراء التلقيحات وشراء ما يلزم، وحزم الحقائب، وتوديع الأصدقاء.

استقرت جاكلين في الطائرة. وما من شيء أمامها إلا أن تأكل وتشرب وتنام. وفجأة اعتراها قلق غامض. مما لا شك فيه أنها أرادت العودة الى غانا ولكن ترى هل ستصمد أمام تحديات عملها الجديد؟ وهل أدركت تماماً ما تزج نفسها به. فالعيش في بلد غريب بمفردها لكسب قوت يومها، يختلف تماماً عن العيش فيه مع والديها.

وقّعت جاكلين عقد عمل لمدة سنتين، ولكنها لم تقابل بعد الرجل الذي ستعمل معه. نظرت من نافذة الطائرة المحلّقة بمحاذاة الساحل الافريقي الغربي، فرأت غابة استوائية خضراء. كانت الشمس تجنح للمغيب مشبعة الدنيا بتألقها الذهبي، ومتيحة للظلام أن يحل مكانها خلال دقائق. لم تستطع جاكلين ان تطرد افكارها المزعجة وقلقها. ترى هل بلغت ثقتها بنفسها مرحلة الغرور عندما قبلت عملها الجديد كمساعدة ادارية في شركة الانتاج الغذائي الدولي المحدودة؟

تدفقت في ذهنها كلمات كريستوفر جينكنز رئيس الشركة الذي قال لها اثناء المقابلة التي جرت بينهما:

- إنه عمل غير قابل للثناء، ومزعج يا آنسة دونلي أريد ان يكون الأمر واضحاً تماماً.

رنّت هذه الكلمات في أذنيها كموجات من الفزع، فقالت لنفسها لا تكوني مضحكة، فهذا النوع من العمل لا يحتاج الاّ الى الثقة بالنفس، والاصرار، وبعض الخبرة. وهذا متوفر لديك.

كانت جاكلين تدرك بمرارة ان مظهرها لا يوحي بمنطق ايجابي، وهذا تملكها شعور طبيعي بعدم كفاءتها. كم تمنت لو أن مظهرها يتناسب مع أعوامها الثلاثة والعشرين، لكن الكثيرين يعتبرونها مجرد طالبة مدرسة سيما وأنّ شعرها ذهبي مجعد، وعينيها زرقاوين، وقامتها لا تتجاوز الخمسة أقدام وسنتمترين. لم يكن باليد حيلة إلاّ إذا قيّمها رئيسها الجديد كشخص فعال دون النظر الى هذه الصفات الشكلية.

نظر جينكنز الى جاكلين عاقداً ما بين حاجبيه نظرة أقلقتها عندما استفسرت عن شخصية رئيسها الجديد ماثيو سيموندز وقال:

- إنه قاس يا آنسة دونلي، مجد ومنكب على العمل، وسيتطلب منك بذل كل قوة من امكاناتك.

حسناً إنها قاسية أيضاً، ومجدة ومحبة لعملها، فأهلاً وسهلاً بماثيو سيموندز هذا الذي سيتطلب منها تسخير كل إمكاناتها.

شعرت جاكلين بيد السيدة تورنر التي كانت تجلس الى جوارها، تلمس ذراعها، فنظرت الى عينيها الرماديتين الصافيتين. كانت السيدة تورنر

قصيرة بدينة ومفعمة بالحنان والصداقة.

- تبدين متعبة يا عزيزتي.

- أشعر بألم في رأسي سأرى إن كان لدى المضيفة بعض الأسبرين.

خرجت جاكلين من مكانها متخطية السيدة تورنر وزوجها الأشيب لتبحث عن المضيفة، فبدت الطائرة لها تالفة كركابها، إذ مضى على مكوثهم بداخلها عشر ساعات. تمدد معظم ركابها باسطين أقدامهم وأيديهم بلا حيوية ونشاط. أخذت جاكلين الأسبرين من المضيفة وابتلعته مع قليل من الماء، ثم ناضلت وسط الزحام كي تعود إلى مكانها، وأخذت تفكر بما يجول في ذهن السيد والسيدة تورنر.

لمعت عينا السيد تورنر البنيتان بضحكة قائلو:

- سنصل بعد وقت قصير.

كان السيد تورنر مزارعاً من مينسوتا اصطحب زوجته في هذه الرحلة التي تطلبت منها شجاعة كبيرة، كي يشاهدا حفيدتهما المولودة في أكرا وما ان علما ان جاكلين أمضت أعوامها الدراسية في أفريقيا، حتى انهالا عليها بوابل من الأسئلة، عن الشعب؟ والطعام... والطقس... وطرحا عليها بعض الأسئلة الشخصية فيما إذا لسعتها أفعى مثلاً؟ أو هل أصيبت بالملاريا؟ وكيف وصلت الى غانا أول مرة؟ وهل كان والدها موظفاً؟

- لا.. لا، ضحكت جاكلين قائلة، لقد عمل والدي في شركة التنمية الدولية...

وأخبرتهم الكثير عنها وعن عائلتها عندما سكنوا في سويسرا وتركيا وكم كانت تفكر بالسفر عبر البحار متى نالت شهادتها. سألها السيد تورنر:

- ما طبيعة عملك في أكرا؟

- سأعمل في شركة الانتاج الغذائي الدولي. إنها شركة خاصة تساعد الدول في تنمية إنتاجها الغذائي.

وبما أن السيد تورنر كان مزارعاً، فقد راق له الأمر كثيراً، وانهال عليها بوابل آخر من الأسئلة التي أجابته عليها على أحسن وجه.

ساد صمت قصير بينهم، كان الظلام قد حل على المدينة، فلم تشاهد

جاكلين سوى بعض الأنوار المتلألئة هنا وهناك، فتنفست الصعداء إذ كانت ترغب بالخروج من جو الطائرة الحار، والمشبع برائحة الأطعمة والحليب الفاسد، ورائحة التبغ والنايلون الدافئ.

بدا هبوط الطائرة وشيكاً، وأخذ الركاب ينهضون من سباتهم مما أضفى على جو الطائرة نشاطاً. ربطت أحزمة الأمان، ووضعت الأشياء في حقائب اليد، كما أخذ الأطفال يصرخون بانسجام مع بعضهم بعضاً، عندما حاول أهلهم إعادتهم لمقاعدهم ليبعدوهم عن جناح الطائرة.

وبدهشة كبيرة، وصبر نافذ حدقت جاكلين من النافذة لترى اكرا تتلألأ بأضواء مرصعة كالنجوم. انحنت السيدة تورنر أيضاً، ثم ضحكت وهزت رأسها قائلة:

ـ يبدو أن اكرا مدينة حقيقية، إنني أشعر بالغباء اذ لم أتصورها إلاّ مدينة ذات أكواخ من اللبن، ومواطنات نصف عاريات، وفيلة.

ضحكت جاكلين قائلة:

ـ نعم هناك الكثير من الأكواخ المصنوعة من اللبن، لكنك لن تشاهدي الفيلة إلاّ في حديقة الحيوان.

هبطت الطائرة أخيراً، وبدأ الجميع في هرج ومرج، كل يريد ان يصارع الآخر، ليشق طريقه خارجاً في اللحظة نفسها.

انحشر السيد والسيدة تورنر في الصف، بينما جلست جاكلين في مقعدها تنظر ريثما تهدأ الأحوال. وما إن خرجت من الطائرة حتى لفح وجهها الهواء الحار الرطب، فعبست إذ لم تكن بحاجة لحمام بخاري في تلك اللحظة.

وصلت جاكلين إلى قسم الجمارك فانتظرت دورها. وعلى الرغم من ثيابها الملتصقة على جسمها من شدة تعرقها، وحذائها الضيق، أخذت تتساءل كيف ستتعرّف على السيد ماثيو سيمونز من خلال أوصافه المذكورة؛ رجل طويل، ثلاثة وثلاثون عاماً، شعره بني، وعيناه عسليتان، وملايين الرجال في العالم يتمتعون بهذه الأوصاف ولكن ليس هنا في اكرا.

تمكنت جاكلين أخيراً من سحب حقيبتها إلى الصالة الرئيسية، ولكنها لم

تر أحداً يشبه ولو بشكل طفيف الرجل الذي تبحث عنه. لا . . لا أحد. ولم تجد أيضاً أي أثر للسيد والسيدة تورنر إذ أنها كانت آخر من هبط من الطائرة.

وبخوف كبير أخذت جاكلين تفكر ما عساها ان تفعل. لن تجد احداً في المكتب، فالساعة تشير الى ما بعد التاسعة ليلاً، وليس لديها أية فكرة عن عنوان السيد سيمونز. احتارت في أمرها وهي تفكر بغضب وتوتر، واحتشد حولها الكثير من الشباب المراهقين يختصمون لحمل حقائبها.

اتجهت جاكلين بقلق الى مكتب الاستعلامات، فانزعجت الفتاة النائمة على يدها ذات الشعر المستعار الطويل وقالت:

ـ نعم.

أجابتها جاكلين:

ـ اسمي جاكلين دونلي وأود ان أستفسر إن كانت لي أية رسالة.

ـ أية رسالة؟

تنهدت جاكلين شارحة الأمر للفتاة:

ـ لقد أتيت لتوي من نيويورك، ولم أجد احداً بانتظاري، فربما أجد لي رسالة لديك؟

أجابتها الفتاة:

ـ لا شيء لدي.

وباضطراب ابتعدت جاكلين عن المكتب، واستقلت سيارة أجرة الى فندق الكونتيننتال القريب من المطار. كانت متعبة وحانقة ولم تهتم للتكاليف، فليدفعوا ما شاؤوا إذ أنهم لم يتعطفوا بارسال أحد لاستقبالي.

في صباح اليوم التالي حاولت جاكلين الاتصال بالهاتف، ولكن عبثاً فالخط معطل.

ـ أهلاً وسهلاً بك في غانا قالت هذا لنفسها، ثم استرخت على السرير.

ـ أين هو ماثيو سيمونز هذا الذي يدعي أنه بحاجة ماسة لمن يساعده؟

بحثت جاكلين بين أوراقها عن العنوان، فلم تجد إلاّ رقم صندوق البريد. لا بد أن تجد عنوان البيت أو المكتب. لهذا حاولت جاهدة الحصول عليه عن طريق الاستعلامات فلم تفلح.

عضت جاكلين شفتها لتسيطر على غضبها المتصاعد. هل هذا نذير شؤم يا ترى!

استغرق استفسارها عن طريق السفارة الأميركية، وشركة التنمية الدولية ما يزيد عن الساعة. ولم تعثر على العنوان إلاّ بعد أن تأكدوا أنها ليست جاسوسة.

استقلت مرغمة على أمرها سيارة أجرة سيئة من النوع الكلاسيكي. كان حشو فراشها خارجاً منه، ونوافذها الجانبية لا تفتح، وسائقها يقود بجنون.

نظرت جاكلين بعينين ملؤهما الفضول الى شوارع أكرا النابضة بالحياة، فوجدت الناس هنا وهناك واقفين غير آبهين لأشعة الشمس، ولا لأصوات السيارات الصاخبة التي تصم الآذان.

تنفست جاكلين الصعداء عندما رأت البناء المؤلف من طابقين يحمل الاشارة الزرقاء، فلم يكن من الصعب العثور عليه. ساعدها السائق في حمل حقائبها إلى غرفة الانتظار، ثم تناول منها النقود بتكشيرة عريضة.

نظرت جاكلين بدهشة الى فتاة يافعة جلست وأمامها الآلة الكاتبة، كانت زينتها متقنة، وتدلت من أذنيها طارتان ذهبيتان. ابتسمت جاكلين وقالت لها:

- أريد أن أقابل السيد سيموتز من فضلك. اسمي جاكلين دونلي.

- لحظة اذا سمحت. كان صوت الفتاة رقيقاً وخجولاً.

نهضت الفتاة مترنحة بزيها الغربي، وبعد لحظة عادت لتقود جاكلين إلى مكتب مكيف عبر رواق حقير.

جلس ماتيو سيموتز خلف مكتبه يوقع بسرعة بعض الأوراق. أنعمت جاكلين النظر به. شعره بني كثيف مجعد حول أذنيه، يرتدي قميصاً أبيض بنصف كم، وبلا ربطة عنق. رفع رأسه ووقف مصافحاً. كان طويلاً جداً شامخاً كالبرج أمامها. حاجباه غريبان، ولونه أسمر غامق يناسب رجلاً في حقل ذرة اكثر من موظف في مكتبه.

تساءلت جاكلين عندما قبض على يدها بشدة مصافحاً، هل لهذا علاقة في تحديد شخصيته؟

وسرعان ما دار في مخيلتها كلمات رئيسها:

- إنه قاس، وجد ومنكب على العمل.

ليس في هذا من شك فها هو يبدو قاسياً فعلاً. أصبح قلق جاكلين الغامض مرعباً عندما عرفته على نفسها، ولم تلمع عيناه الداكنتان بأي بريق، بل قدم لها ببرود كرسياً وقال:

- تفضلي.

جلس إلى مكتبه، ونظر إليها بلباقة وتجرد وقال:

- ماذا يسعني أن أفعل من أجلك يا آنسة دونلي؟

فتحت جاكلين فمها، ثم أغلقته بدهشة، اذن انه لا يعلم من تكون؟ ثم أجابته:

- ألا تتوقع قدومي يا سيد سيموتز؟

قطب جبينه ونظر الى مذكرته قائلاً:

- لا إني آسف، ليس بيننا أي موعد.

- موعد!

لا بد ان هناك خطأ ما. لقد قطعت نصف المسافة عبر العالم لتستلم عملها، ويدعي ماتيو سيموتز بأنه لا يعلم بالأمر. كانت جاكلين تتوقع لقاءً دافئاً ودياً على الأقل. انقلبت تساؤلاتها إلى جنون انصب كالصخرة في معدتها. ابتلعت لعابها وقالت:

- إنني المساعد الاداري الجديد يا سيد سيموتز، فالمكتب الرئيسي في نيويورك قد وظفني منذ ثلاثة أسابيع.

أعقب كلام جاكلين صمت جليدي، ثم نظرت إلى ماتيو سيموتز بقلق وقد تعاقبت على وجهه ملامح الدهشة، والتكذيب، والغضب معاً. تقلصت عضلات وجهه وتطاير الشر من عينيه.

- لا لست أنت. . . لا بد أن هناك خطأ ما. . .

انفجر صوته مبدداً الصمت، فشعرت جاكلين وكأنها تلقت صفعة على وجهها. ماذا يعني؟ عمّ يتكلم؟. . حملقت في وجهه العاصف بدون أن تفهم شيئاً. تنهدت وقالت له:

- ماذا تعني غلطة؟ ألست بحاجة الى مساعد إداري؟ لقد وظفوني وها

أبداً . .

نظر اليها بحنق وقسوة وقال:

ـ لا أعلم أية نكتة هذه . . لم أستلم أية رسالة أو برقية تؤكد ما تقولين . ولو كان لي علم مسبق بذلك، لما سمحت لك بالقدوم . . لقد طلبت رجلاً على وجه التحديد. إنني أرفض ان تستلمي هذا العمل.

أسكتتها الصدمة، ولم تفهم معنى كلماته . . انفجر غضبها مزمجراً في أعماقها، حتى غدا وجهها ساخناً وأردفت:

ـ هل لي ان اذكرك يا سيد سيمونز بأننا نعيش في القرن العشرين، وانك مغالط في تعصبك.

لم يأبه ماتيو سيمونز لكلامها وتابع:

ـ أحب ان اذكرك، أنك هنا لست في الولايات المتحدة، بل في أفريقيا. على أن أتكيف مع الحقائق التي تفرضها الظروف والمكان.

ـ وما هي هذه الظروف يا ترى؟

ـ لا أستطيع ان اخبرك بذلك، كان عليهم ان يقدروا هذه الأمور قبل توظيفك.

صمتت جاكلين غاضبة. من يعلم افضل منه؟ عليه ان يدرس الحقائق قبل ان يقرر. انها واثقة من المكان والظروف، ومتأكدة من ان هناك اشياء كثيرة لن تتحقق في مكان يتعطل فيه الهاتف عن العمل، ومن الصعب ايضاً العثور على قطع تبديل للسيارات عندما يحتاجها المرء. كان النظام الاداري بطيئاً ومغايراً لما اعتادته في وطنها. ان المسألة هنا تكمن في ان يراعي الانسان مزاج الآخرين دون ان يصاب بالاحباط. ومع ان الصبر ليس من شيم جاكلين، إلا انها تضع نفسها على المحك الآن، فقد قاومت تصرف ماتيو سيمونز وحاولت عبثاً ان تجد ما تقول . . . لم يكن في جعبتها شيء. مضى وقت لا بأس به وكلاهما صامتان، ثم نهض سيمونز ونادى:

ـ بيشنس.

سمعت جاكلين وقع خطوات مسرعة في الرواق، وما لبثت الفتاة ان ظهرت بالباب قائلة:

ـ نعم يا سيدي.

ـ أحضري لنا بعض القهوة.

جلس ثانية وهو ينظر الى جاكلين. لم يكن رجلاً أنيقاً، لكن وجهه يوحي بالرجولة. فكرت جاكلين بمرارة ان هذا الرجل يريد ان يذلني.

ـ ماذا سأفعل بك الآن يا آنسة جاكلين؟

أذهلتها نبرة صوته الا يعلم مع من يتكلم؟ هل يظنها احدى المراهقات العنيدات؟

ـ أقترح يا سيد سيمونز ان تنسى انني أنثى، وتدعني أستلم عملي.

حاولت أن تبدو هادئة كأي رجل من رجال الأعمال. رفع ماتيو سيمونز أحد حاجبيه، وارتسمت على فمه ابتسامة ساخرة قائلاً:

ـ أعتقد انه من الصعب ان انسى انك انثى لأن ذلك واضح من أول نظرة.

نظرت اليه ببرود وقالت:

ـ إذن أعتقد ان عليك ان تتقبل هذا الواقع المر. أنا هنا ولدي رغبة صادقة في البقاء والعمل.

ـ هكذا إذن؟

قرع الباب وحضرت القهوة. فقال ماتيو سيمونز:

ـ آسف فليس لدينا سكر. حتى ان السكر غير متوفر في المنطقة بأجمعها هذه الأيام.

نظرت جاكلين الى عينيه، هل كان يتوقع منها ان تغضب وتصرخ مزمجرة لأنها لا تستطيع ان تشرب قهوتها بلا سكر. حسناً ستدهشه الآن.

ـ أعتقد أنني أستطيع ان أتحمل هذه المعاناة.

تفحصها بعينين متقدتين وقال:

ـ إذن تحافظين على وزنك بهذه الطريقة.

حملقت به دون ان تجيب فسألها:

ـ حسناً متى وصلت؟

ـ الليلة الماضية. احتست قليلاً من القهوة الساخنة.

ـ آسف فلم يستقبلك احد ما، وبدا جاداً فيما يقول هز رأسه وتابع:

ـ إن قدومك مفاجأة لنا وأعجب لما حدث. كان عليهم ان يرسلوا برقية

تشير الى وصولك.

رفعت جاكلين كتفها وقالت:

- قد تكون البرقية موجودة في مكتب البريد مهملة، كما يحدث في كثير من الأحيان.

نظر إليها بحدة.. ثم أمسك سماعة الهاتف وأعادها الى مكانها إذ كان الهاتف معطلاً وأردف:

- لقد قطعت سيارة جمع النفايات أثناء عملها خط الهاتف، وسيستغرق اصلاحه عدة أسابيع.

ثم فتح الباب ونادى بيشنس، وطلب منها ان يذهب سامسون الى مكتب البريد مستفسراً عن البرقية، وتابع حديثه مع جاكلين قائلاً:

- ماذا فعلت عندما لم تجدي أحداً بانتظارك؟

- ذهبت الى فندق الكونتيننتال... أخذت حماماً ونمت. وهذا الصباح تناولت فطوري وتقفيت اثرك.

نظرت إليه بتحد. ترى ماذا كان يتوقع منها؟

- هل كان عنواننا لديك؟

- رقم صندوق البريد فقط ورقم الهاتف والأخير معطل.

- هذا صحيح.

حلق كل منهما بوجه الآخر وكأنما يقيّمان بعضهما بعضاً.

ثم سألها:

- كيف عثرت على العنوان اذن؟

- انهرت وبكيت حتى اتت جدتي الجنية، وارشدتني الى الطريق.

- لما تسخرين يا آنسة دونلي؟

انفجرت غاضبة اذ لم تستطع كبت خيبة أملها وقالت:

- لا.. هل تريدني ان اقفز فرحاً بعد ان قطعت نصف العالم لأحصل على عمل أرغب به. علمت أنك تتوق لمن يساعدك.. وانظر كيف تتصرف... استقبال رائع... ترحيب دافئ، وعلاوة على ذلك، فاني لا أصلح للعمل لأنني امرأة. يبدو انك فوجئت لأنني استطعت العثور عليك.

- اهدأي.. اهدأي.. تعالي نحكم المنطق بيننا.

صكت جاكلين أسنانها ونظرت اليه.

- حسناً هل لدي أوراق خاصة بك؟

- لا.. أخبرني السيد جينكنز انه سيرسلها لك مع نتيجة المقابلة التي جرت بيننا، وجميع اوراقي الاخرى التي اعتقد انها لم تصلك بعد.

تنهد قائلاً:

- قد يعلم الله اين اختفت هذه الاوراق.

- ستظهر عاجلاً ام آجلاً، هذا ما يحصل دائماً.

احتسى ما تبقى من قهوته وقال:

- اعتقد انك من حملة الشهادات؟

- ادارة اعمال.

- وماذا كنت تفعلين قبل مجيئك الى هنا؟

- تخرجت لتوي.

كان هذا جزءاً من الحقيقة، ولكنها لم تخبره بأنها عملت كمساعدة للمدير في دار العجزة، وأنها عملت عدة مرات في أشهر الصيف مع العمال المكسيكيين المهاجرين في كاليفورنيا.

وعلى الرغم من ان تلك الاعمال أكسبتها خبرة، إلّا انها كانت السبب في تأخر تخرجها عاماً كاملاً.

لن أخبره بشيء بل سأدعه يظن أنني امرأة غير كفء للعمل.

تابع ماثيو سيمونز الحديث بعصبية قائلاً:

- لقد تخرجت لتوك اذن... معنى هذا انهم ارسلوا لي طالبة مدرسة. يا الهي كان عليهم ان يدركوا هذا.

شعرت جاكلين انها تغلي غضباً، ولكنها اقنعت نفسها ان تحتفظ بهدوئها وسألته ببرود:

- ماذا كان عليهم ان يدركوا يا سيد سيمونز؟

- عليهم ان يدركوا ان الشهادة ليست كل شيء، وان الخبرة ضرورة حتمية. يجلسون في «كاتبهم في الولايات المتحدة، وينسون ان العمل في هذه البقاع امر مختلف تماماً، ويتطلب مؤهلات مختلفة أيضاً.

- هكذا اذن!

رفع ماثيو سيمونز احد حاجبيه بسخرية وقال:

- هل تدركين ذلك.

نعم انها تدرك الأمر تماماً. . . لقد علمت انه حكم عليها من اول نظرة على انها خريجة جديدة، وشقراء غبية. . اذن لن تنال منه الا المتاعب والازعاج. . انها تعلم بماذا يفكر.

- اسمعي يا آنسة دونلي. . لست مستعداً ان ادربك على العمل مدة ستة اشهر، لتجدي بعدئذ انك لا تستطيعين الاستمرار به. انظري جيداً، وادرسي الأمر. هل سمعت شيئاً عما يسمونه بالصدمة الحضارية؟

- اعتقد ذلك.

- ان هذا العمل ليس بعمل عادي في ظروف عادية. . ولن تجدي بين دفتي الكتب المعلومات التي تفيدك. ان الزمن وحده كفيل بهذا وانني افتقر لهذا الوقت يا آنسة دونلي.

علقت جاكلين قائلة:

- ألم يدرك السيد جينكنز في نيويورك هذا؟

عقد ما بين حاجبيه بغضب وقال:

- كان عليه ان يدرك ذلك. كنت واضحاً تماماً في تحديد نوعية الشخص الذي أريد.

وبعصبية دفع بكرسيه، ونهض واقفاً، واتجه نحو النافذة. تأملت جاكلين منكبيه العريضين القويين، وشعره الطويل المتدلي الى حافة ياقة القميص.

مضت لحظات ساد الصمت خلالها، وجلس ماثيو سيمونز مرة أخرى الى مكتبه هادئاً ورابط الجاش وسأل جاكلين ببرود:

- أخبريني رجاء كيف تم قبولك لهذا النوع من العمل؟

نهضت جاكلين من كرسيها وقدماها ترتجفان، والدم يتدفق في رأسها. ودت لو تخبره بأنها ليست خريجة جديدة، وانها عاشت هنا مع عائلتها. . . ومارست اعمالاً اكسبتها خبرة، ولكنه لم يسألها عن تلك الأمور، لهذا ابتسمت ابتسامة عذبة وفق ما املته عليها الظروف وقالت:

- لقد منحت العمل يا سيد سيمونز لأنني رافقت الرئيس.

أدارت جاكلين ظهرها، وخرجت من الغرفة وقد أغلقت الباب وراءها بحذر.

٢ ـ التحدي

مكثت جاكلين في الحمام عشر دقائق حاولت أثناءها أن تهدىء من روعها . بدا وجهها بالمرآة شاحباً ، فلا عجب في ذلك بعد تلك الرحلة الشاقة ، والاستقبال السيء الذي لاقته . رفعت شعرها الى الأعلى مبعدة بعض الخصلات عن عنقها ، كي تحافظ على برودتها ، ثم غسلت وجهها ، فالرطوبة مزعجة في شهر آذار مما يجعل الجو لا يطاق . وعلى الرغم من هذا فانها ما زالت تحب أفريقيا ، وكثيراً ما حلمت بالعودة إليها لأنها أمضت فيها ثلاث سنوات دراسية كاملة . ما من شيء محدد على وجه الدقة يشدها إلى غانا ، لكنه حنين ممزوج بأشياء كثيرة . إنها حرة وآمنة في شوارع غانا حتى ولو كانت وحدها ، وأهل غانا ذوو سمعة حسنة . إنها تحب نفسية نسائهم المرحة . يعيشون بسعادة ومرح على الرغم من ظروف

حياتهم الفقيرة القاسية . كانت جاكلين تتمنى من أعماقها أن تعود إلى افريقيا ، وأن تخدمها بشيء له أهمية . فمن أين ظهر لها هذا الشاب المدعو سيمونز الذي يحاول أن يحطم آمالها ؟ نظرت مرة أخرى الى المرآة ، ثم شدت كتفيها مصممة ألا تدعه يفعل . ستبقى في أفريقيا ، وستقوم بعملها دون أن تأبه لرأيه . فتحت بيشنس باب الحمام ، ونظرت إلى جاكلين بحياء وقالت :

ـ إن السيد سيمونز يريدك .

ضحكت جاكلين في سرها ، إن السيد سيمونز لا يريدها ، ولكنه مرغم على ذلك شاء أم أبى .

دخلت جاكلين المكتب ، رأسها مرفوع ، ونظراتها باردة ومتجاهلة نظرات ماثيو سيمونز إليها . جلست وقالت :

ـ يا سيد سيمونز أريد ان اعرف أين سامكث ، كي أستقر وأباشر عملي . فقد أخبروني أنك تهتم بأمور السكن .

ـ هذا ما أردت أن أحدثك عنه ، فلدينا مشكلة .

ـ وما هي ؟

ـ إن ميزانية اجور السكن لا تسمح هذه الأيام بايجاد سكن ملائم ، وخاصة بعد ارتفاع أجرة المنازل للضعف والضعفين وذلك لعدم توفرها .

كانت نظراته تنم عن تحدٍ ، وحقد وتأملات ثم أردف :

ـ وبمعنىً آخر لن تجدي سكناً مناسباً . هل هذا مفهوم ؟

ـ نعم مفهوم .

إذا كان هذا الشاب يستفزني ليثير جنوني ، فعليه أن ينتظر مدة أطول .

سألته :

ـ إذن وماذا تقترح ؟

ـ الحقيقة أود لو أعيدك إلى وطنك على متن الطائرة التالية .

ـ لن تستطيع طردي ، إلا إذا أخفقت بأداء عملي على الوجه اللائق وإنني أخطط أن أقوم به بشكل يفوق الإتقان .

ـ إذن سأمنحك فرصة لنرى امكاناتك يا آنسة دونلي ما دمت هنا ، ومصممة على العمل معي . ولكنني احذرك ، عليك أن تتقي عملك

فليس لدي الوقت لهدره ، ولا الرغبة في تدريبك . . . إنني بحاجة للمساعدة ، فإن لم تمكنني من ذلك ، فسأطردك وليذهب جينكنز إلى الجحيم .

تجاهلت جاكلين تهديده وعادت لتسأله :

ـ وماذا عن المسكن ؟

تنهد وسكت لبرهة ثم قال :

ـ يمكنك أن تشغلي جناح الضيوف في منزلي إذا وافقت على ذلك . . . إنه قسم مستقل عن المنزل ، وله مدخل خاص ، وغرفة نوم وغرفة استقبال وحمام . أما المطبخ فستشاركينني إياه .

ـ هل لدي مجال للاختيار ؟

ـ كلا . إلا اذا دفعت ثلاثمئة وخمسين من مالك الخاص ، وهذا المبلغ كبير بالنسبة لما تتقاضيه .

طبعاً إنها لا تستطيع دفع ذلك المبلغ ، ولكن كيف ستعيش في المكان نفسه ، ومع رجل تكرهه . ليس باليد حيلة الآن . أجابته :

ـ لا أعلم بالضبط ماذا أفعل ، دعني أرى المنزل .

كان المنزل قريباً من المكتب ، عبارة عن فيللا ذات شرف واسعة ، محاطة بحديقة بحاجة إلى عناية . أما أرضية الغرف فكانت من الخشب ، والمراوح تتدلى من السقف ، وجميع النوافذ محاطة بمناخل واقية من الحشرات الطائرة .

ـ هذا هو مسكنك . قال سيموتز هذا ، وهو يفتح باب غرفة الجلوس والطعام .

وجدت جاكلين نفسها في غرفة صغيرة ذات أبواب زجاجية تفتح على الشرفة . شاهدت غرفة النوم والحمام ، فوجدتهما مقبولتين على الرغم من صغر المساحة . تابع سيموتز قائلاً :

ـ لم يستعمل هذا القسم على الإطلاق ، استعملت إحدى غرف النوم في المنزل من أجل الضيوف . . . وفتح النوافذ ، فامتزج النسيم مع رائحة الغرف المفعمة بالعفن .

ـ إن المنزل بحاجة لبعض التحسينات .

ـ هذا واضح يجب أن تبدأ بعملية الدهان أولاً . إن حالة المنزل سيئة ، ولهذا استأجرته بثمن زهيد ، كان عليك أن تري المطبخ قبل إصلاحه .

ثم اقترب منها ، ونظر اليها بتحدٍ وقال :

ـ ماذا قررت ؟

ـ حسناً لا بأس به . إن كل ما أريده ، أن يكون لي مكان خاص بي .

ـ سأريك المطبخ وأعرفك على كويسي .

بدا كويسي كلاعب ملاكمة أكثر منه كخادم . كان يحرك الحساء في وعاء على النار . وما أن رأى جاكلين حتى حياها بضحكة ودية عريضة ، ومد يده مصافحاً :

ـ أهلاً وسهلاً .

غدت ابتسامة كويسي أعمق بينما كان ماتيو ينظر اليها بتهكم بالغ وتابع :

ـ يجب أن تتعلمي لغة البلاد مع العلم أن اللغة الرسمية هي الانكليزية .

تجاهلت جاكلين تعليقه ونظرت إلى الوعاء ، فوجدت حساء النخيل ممزوجاً بالبهارات وبينما كان ماتيو سيموتز يقود جاكلين خارج المطبخ إلى الغرفة الرئيسية قال :

ـ ان كويسي يقوم بطهي الطعام وتنظيف المنزل ، إنني أعطيه النقود ، وهو يقرر ما يطعمني ، إنه يطبخ كأهل غانا ، واذا أردت أن تعلميه الطبخ على طراز آخر فيا حبذا .

حمل كويسي حقائب جاكلين إلى غرفة الجلوس فتبعاه . أشار سيموتز إلى حفرة في الجدار وقال :

ـ آسف ، إن جهاز التكييف لا يعمل . وعندما يتم إصلاحه ، بإمكانك وضعه في غرفة النوم . لكن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً كالعادة هنا . ليس لدي مكيف آخر لتقديمه لك ، لأن الثاني يتم إصلاحه أيضاً .

علت وجهه مسحة من الإحباط . بينما عضت جاكلين شفتها ، لتكبح جماح الضحك . وإذا كان ماتيو نفسه لا يتحمل ظروف الحياة القاسية في أفريقيا ، فكيف بجاكلين وهي امرأة . لن يغيب عن مخيلته افتقارهم

للسكر ، ولعجلات السيارات ، وقطع التبديل بمختلف أنواعها أو اختفاء سفن [1] حتى التي وصلت الى شنغهاي أو التي بقيت في الميناء لعدة أشهر . لن يستطيع كل غربي أن يتلاءم مع هذا النوع من الاحباط .

ـ علي أن أعود بسرعة الى المكتب ، فلدي موعد . سأعود بعد ساعة لأتناول الغداء ، والى اللقاء .

جلست جاكلين على السرير محتارة في أمرها . هل تفك أمتعتها ، أم تنتظر لتنتقل الى منزلها . ستلقي نظرة اخرى على المكان . خرجت من الغرفة ، فوجدت كويسي في طريقها فسألها :

ـ هل تريدين قهوة أم ماء معدنيا ؟

ـ أي شيء بارد من فضلك . ماء .

ـ إننا لا نغلي الماء هنا يا سيدتي .

ـ حسناً يا كويسي ، إن ماء اكرا نظيف .

ـ هذا ما يظنه سيدي . ولكن السيدة تغليه لمدة خمس عشرة دقيقة .

لم تعلم جاكلين فيما اذا كان ماتيو سيمونز متزوجاً أم لا ، فسألت كويسي :

ـ هل تقصد السيدة سيمونز ؟

هز كويسي كتفيه وقال :

ـ لا اعلم ان كانت زوجته أم لا .

إذا كان ماتيو سيمونز متزوجاً ، فماذا ستظن زوجته بها ، اذا وجدتها تقطن غرف الضيوف ؟

ـ أليست السيدة سيمونز هنا ؟

هز كويسي رأسه وأجاب :

ـ لا انها في الولايات المتحدة على ما اعتقد .

لم ترغب جاكلين ان تسأل كويسي أية أسئلة اخرى . ستكتشف ذلك بنفسها . لا لن تمكث في هذا المنزل فربما اعترضت سيدة المنزل على وجودها .

أخذت جاكلين كأس الماء من كويسي ، وألقت نظرة حذرة على المنزل . سيحسن الدهان وضع المنزل . ويجب أن تبدل الناموسيات .

ولكنها شعرت بالراحة عندما وجدت مياه الحمام تجري ، ولفت انتباهها سرب من النمل . فالحشرات موجودة في كل مكان حتى في هذا الحمام المهمل . حشرات صغيرة لا تؤذي أحداً ، ولكنها تجتمع أسراباً اذا شعرت بوجود ذرة خبز صغيرة . لم تستطع والدة جاكلين التخلص من هذه الحشرات على الرغم من استعمالها الكثير من المبيدات . بدت الأرض الخشبية مهملة تماماً . لا بأس سيتصلح الأمر بقليل من الشمع . سرت جاكلين بمنظر الشرفة إذ ازدانت بنبات البوغنفيليه الأمريكي المتعرش ببراعمه الحمراء والصفراء ، وألقت نظرة على الحديقة الخلفية ، فرأت نبات الموز الطويل ، ونخيل جوز الهند الضخم موزعاً على نحو غريب . والى اليمين رأت منزل الخدم المغطى بنبات البوغنفيليه . ستصبح الشرفة ملائمة للجلوس بقليل من النباتات والكراسي الجدد .

عاد ماتيو سيمونز بعد ساعة ، فتناولا طعام الغداء المكوّن من البيض وشرائح الأناناس .

ارتبكت جاكلين وقالت :

ـ انه لطف كبير منك يا سيد سيمونز أن تدعوني للسكن هنا . ولكن ما رأي السيدة في مشاركتي هذا المنزل ! أعني هل توافق على اقامتي هنا ، وعلى مشاركتي لها المطبخ .

أجاب ماتيو سيمونز ببساطة :

ـ تقصدين دايانا، إنها ليست زوجتي .

وضعت جاكلين في فمها قطعة أناناس ، ورفعت رأسها لتجده ينظر إليها قائلاً :

ـ قد تظنين انك شخص صلب . . . ولكني اريد أن أحذرك . ان الاقامة في هذا البلد ، تحتاج الى المزيد من قدرة التحمل . إياك أن تظني انك اتيت الى هنا لقضاء اجازة .

ثم دفع كرسيه الى الخلف ، ونهض ، فتبعته جاكلين وقالت بنبرة ملؤها التصميم :

ـ لم أحضر الى هنا لقضاء اجازة .

ـ ليتك لم تأتي . اذ عليك التكيف مع عمل صعب وظروف قاسية ،

وهذا ما لا أتوقعه منك ، أو من اية خريجة جديدة .

ازعجها تهديده ، فنظرت الى عينيه بضراوة . انه يقيّمها كشقراء غبية قصيرة . تمنت في تلك اللحظة أن تكون سمراء طويلة ، وأن يتناسب شكلها مع عمرها ، كيلا تضطر أن تحترم هذا المغرور العملاق والمتحيز للرجال . وتابعت بثبات وبرود :

ـ ان ثقتك بي تسحقني .

التقت عيونهما لبرهة ، فابتسم وهو ينظر اليها ، فلاحظت أن الابتسامة قد أضفت رقة على وجهه ، حتى ظنت انها تنظر الى رجل غيره وقال مجيباً :

ـ طبعاً ، قلما أخطأ حدسي .

ـ تماماً .

اجابت وهي تبتسم بدورها . قاد ماتيو سيمونز جاكلين الى المكتب لتتعرف على بقية الأعضاء فيه . تعرفت على بيتسي سكرتيرة الاستقبال ، ثم على سامسون مراسل المكتب . كان سامسون يافعاً ونحيلاً جداً ، يرتدي سروالاً ضيقاً وقميصاً مفصلاً . حاول أن يشعرها بأهميته عندما صافحها ، ولكن تكشيرته الرخيصة أفسدت الموقف .

ـ إن سامسون شاب طيب ، يريد أن يؤثر في الناس لكنه لا يعرف كيف يحقق ذلك .

ضحكت جاكلين معلقة :

ـ لاحظت ذلك .

عرفها ماتيو سيمونز أيضاً على المحاسب السيد اسانتي . كان اسانتي رجلاً متقدماً في السن قصيراً ، ذا شعر رمادي عند الصدغين ، يضع نظارة سوداء أعطته طابع الرجل الافريقي العجوز المصور في قصص الأطفال .

ـ أما أوفاري ولواتي فهما غير موجودين الآن ، ويعملان كمساعدين للمدراء في المشاريع ، ويأتيان للمدينة مرة أو مرتين في الأسبوع ستقابليهما فيما بعد ثم قرع باباً آخر ودخل قائلاً :

ـ هذا هو ستيفن يدي اليمين في المسائل الزراعية . انظر يا ستيفن هذه هي المفاجأة التي قدمها لنا الرئيس : جاكلين دونلي ، مساعدتنا الادارية الجديدة .

علق ستيفن قائلاً :

ـ اهلاً وسهلاً ، إنني سعيد بلقائك ، وأتمنى ان نكون أصدقاء حتى ولو شاهدت تقارير النفقات التي اجريها .

تأوه ماتيو سيمونز قائلاً :

ـ إن تقاريره مروعة ، فهو على علم بكل ما يتعلق بالماعز ، ولكنه لا يستطيع أن يضيف حقلاً من الأرقام مرتين بالطريقة نفسها .

عبس ستيفن لهذا التعليق ونظر الى جاكلين قائلاً :

ـ انه لا يحبني ، ولكنه لا يستطيع الاستغناء عني ، ولهذا فانه يطعنني .

اجابته جاكلين ضاحكة :

ـ لقد سمعت ذلك .

وتذكرت مديح جينكنز لستيفن وقالت :

ـ ولكنك يا سيد ستيفن تتمتع بسمعة حسنة طولاً وعرضاً ، وسمعتك تملأ الدنيا .

رفع ماتيو سيمونز نظره نحو السماء بخيبة أمل وقال متسائلاً :

ـ لم تقولين هذا يا جاكلين ؟ ... كفاه اعتداداً بنفسه .

ثم قادها خارج الغرفة ، وهما يسمعان قهقهة ستيفن العالية تملأ الرواق .

ـ يبدو ان ستيفن شخص لطيف .

ـ من الدرجة الأولى وفي كل المجالات ، وعامل مجد أيضاً .

ـ لقد أخبرني جينكنز بذلك .

رماها بنظرة مفعمة بالتهكم قائلاً .

ـ لن اسألك ماذا اخبرك عني ...

ـ خرافات ليس إلاّ خرافات ...

رفع أحد حاجبيه وقال :

ـ أهذا كل ما في الأمر ؟ انني اتساءل لماذا فعل ذلك .

ضحكت جاكلين وقالت :

ـ لان الحقيقة مؤلمة احياناً ، ومحفوفة بالمخاطر .

ـ محفوفة بالمخاطر ؟

- اجل لو انهم قالوا الحقيقة ، لما وجدوا من يجرؤ على القدوم الى هنا ، ولو كانت خريجة جديدة غبية مثلي .

- انه لمن السيء جداً انك تصدقين القصص الخيالية .

كان ماتيو سيموتز مشغولاً ، فغاب عن المكتب طوال فترة بعد الظهر . تحدثت جاكلين قليلاً مع بيشنس وسامسون إذ أصبحت مسؤولة عن تنظيم اعمالها وفقاً لعملها الجديد .

شغل مكتب جاكلين الصغير حيزاً من صالة الاستقبال التي اتسعت أيضاً لمقاعد الموظفين . بدت الغرفة بدهانها الأخضر الفاتح ، وستائرها ذات الألوان الباهتة المطبعة على الطراز الأفريقي حقيرة ومتسخة . وضعت جاكلين كرسيها مقابل النافذة علها تبتهج بمنظر الورود . كما أدخل سامسون الى الغرفة صندوق كتب خشبي ، ومروحة ، وكرسياً مما ساعد على تنسيق الغرفة . قررت جاكلين أيضاً أن تحسن من منظر الغرفة قبل أن تكتب هي نفسها أوصاف الغرفة من غبار ، وتلف ، وذبول . تفحصت جاكلين المكتب ، فوجدت اكداساً من الموضوعات الزراعية المتنوعة المهملة ، فقررت إعادة تنسيقها لأن بيشنس لا تستطيع القيام بهذه المهمة . وبمزيد من الجد والنشاط والتصميم ، باشرت جاكلين عملها لتثبت فعاليتها ووجودها . وسرعان ما راودت جاكلين بعض الأفكار المزعجة : ترى هل هي فعلاً تتحدى صعوبات العمل الجديد ، أم انها تتحدى ماتيو سيموتز نفسه ؟

وفي الأمسية نفسها تناولا العشاء معاً ، وبدا سيموتز مسروراً عندما قدمت له جاكلين حساء النخيل ، وقطع لسان الجدي المقلية :

- انتبهي انها حارة جداً اذ أن كوريسي يكثر من الفلفل الأحمر .
- سأنتبه . حاضر يا سيد سيموتز .
- لا داعي أن تناديني بهذه الصفة الرسمية . ما رأيك بماتيو فقط ؟
- سأجرب ، ان كنت مصراً على هذا .
- نعم اني مصر على ذلك يا جاكي .

انزعجت جاكلين وأجابته بحدة :

- جاكلين من فضلك .

انها لن تسمح لهذا المغرور الغريب أن يناديها جاكي كما يفعل أصدقاؤها .

- جاكلين أليس كذلك؟

أحرق الطعام بلعومها ، ولكنها كانت معتادة على ذلك ، وتظاهرت بانها لم تشعر بماتيو سيموتز وهو يراقبها أثناء الطعام . كانت تحب طعام غانا الحار عندما كانت صغيرة . ولما كانت طالبة في المدرسة الدولية ، كثيراً ما كانت تشتري مع صديقاتها قطع اللحم من الحوانيت الموجودة على قارعة الطريق . لقد ذاقت كل أنواع الطعام بما فيه الأفاعي ، مما جعل والدتها تموت فزعاً فلربما التقطت جاكلين بعض الجراثيم التي تسبب الديزانتريا وتؤدي للموت . ولحسن الحظ لم يصب جاكلين اي ضرر حتى ولو كان عسر هضم خفيف . كان ينظر اليها عندما انهت طعامها وقالت بلهجة دفاعية :

- يا له من طعام لذيذ . لقد استمتعت به .
- ستندمين غداً على ما اكلته الآن لأنه سيسبب لك بعض الضيق .
- لا تقلق فلدي معدة كالحديد .
- اذن انت صلبة من جميع النواحي .

هزت جاكلين رأسها مجيبة :

- من يدري ، ربما كنت اصلب كي اتلاءم مع غانا .

استاءت جاكلين من العداء الذي أخذ ينمو في اعماقها . لم ترغب أن تكون الخلافات الشخصية بداية للعلاقة بينهما . وكأنه قرأ افكارها سألها :

- هل هناك من شيء ؟
- لا . اشعر بتعب ، وسأنام باكراً .

في صباح اليوم التالي ، استيقظت جاكلين على صوت الدجاج والبط . بدا ما حولها غريباً للوهلة الأولى ، ولكن شعورها الفشل بالألفة تجاه هذه الأصوات الغريبة ، جعلها تدرك انها ليست في عالم جديد . كما ان ضوء النهار الوهاج في مثل هذه الساعة المبكرة من الصباح أدهشها . حركت المروحة الهواء الداخلي الممزوج بالرطوبة والحرّ محاولة أن تلطف جوّ الغرفة ما أمكن . تذكرت انها في غانا ، فاعترتها موجة من الفرح والسرور .

جلست في الغرفة تنظر الى الستائر المتمايلة مع النسيم ، فسمعت صوت إحدى النساء تتكلم لغة لم تفهمها ، فنهضت ونظرت من النافذة . رأت فتاة صغيرة تملأ دلوها من صنبور الماء قرب جناح الخدم . وفي ظل شجرة المانغا جلست امرأة عارية الأكتاف ، مغطاة بقماش ملون من صدرها الى أخمص قدميها ، تحرك طعاماً وضعته على موقد الفحم ، والى جانبها طفل عار يزحف وسط الأقذار الحمراء ، ويلعب بثمرة المانغا القاسية . هذه عائلة كويسي على ما أظن . بكى الطفل فتركت امه عملها ، ووضعته في حضنها ، ثم أخرجت ثديها ، فجذبه الطفل بيديه الصغيرتين ، وبدأ ينهل من لبنها .

راقبت جاكلين هذا المشهد لمدة ، ثم ابتعدت عن النافذة والسعادة تغمرها لأنها عادت الى غانا ، كم كانت سعيدة وهي تستقبل هذا اليوم . استحمت وارتدت قميصاً قطنياً وصندلاً من الجلد . رفعت شعرها الى الأعلى ، ونظراً لشدة الحر ، فكرت في أن تجمله قصيراً قبل مجيئها ، ولكن الشجاعة خذلتها إذ سيستغرق بعدئذ أعواماً ليعود طويلاً .

وجدت جاكلين كويسي في المطبخ يحضر طعام الافطار ، فحيته تحية الصباح وسألته :

- هل الطفل الصغير والفتاة من عائلتك ؟

اجابها بفخر واعتزاز :

- نعم . ولدي وولد آخر يعيش في القرية مع جدته لأمه .

- أين قريتك ؟

- في مانكسيم انها على الطريق الى ساحل الكيب .

دردشت جاكلين معه قليلاً ثم تركته ليجهز وجبة الافطار . خرجت الى الشرفة التي أضفت على الغرفة نوراً ، وتساءلت وهي تنظر الى الجذوع الخضراء الضخمة ، إن كان هناك بستاني يعتني بالحديقة أم لا . . . يجب أن تشذب هذه الأشجار . وسرعان ما خطف بصرها حركة تمساحين صغيرين يتسابقان عبر الشرفة ، ويقفزان تحت الجذوع .

- تماماً كالغابة أليس كذلك ؟ همس ماتيو من خلفها . كان أنيقاً مرتدياً قميصاً أبيض وبنطالاً فضفاضاً .

- الى حد ما . لكنني احب النباتات الخضراء .

- حسناً لن تفتقدي هذا . فالبستاني هنا يعتني بالحديقة مرة أو مرتين في الأسبوع ، ولكنه غائب منذ شهر . كان عليه أن يعود لقريته لأن جده مريض ، ولا أحد يعلم متى سيعود .

- يوجد هنا الكثير من أشجار الموز .

- نعم . . . ولكن احذري أن تأكلي من تلك الأشجار على الضفاف . فتلك ليست بأشجار الموز .

كانت تلك الأشجار فعلاً شبيهة بالموز ، فإن لم تكن كذلك ، فلا بد أن لها إسماً آخر .

- انها موز الجنة . قالت بلهجة إيجابية خالية من الاستفهام .

فسألها ونظراته تفضح دهشته الكبيرة :

- وكيف عرفت ذلك ؟

هزت كتفيها وقالت :

- اعلم اشياء كثيرة أخرى .

- نعم هذا صحيح !

- الا يجب أن أعلم ؟ لقد تخرجت لتوي من الكلية .

ثم دخلت لتساعد كويسي تاركة اياه وحيداً على الشرفة . كان ماتيو بارداً ومهذباً أثناء تناول وجبة الافطار . وما ان انهيا طعامهما ، حتى غادرا المنزل الى المكتب في تمام الساعة السابعة .

- من الأفضل ان نبدأ عملنا باكراً . فلديّ الكثير ، وعليّ أن احدد اعمالك وأنظمها .

لم تدرك في اليوم السابق أن مكتبه كغرفتها بالية وتالفة ، والعمال ضجرون من مكيّف الهواء الذي لا يعمل .

حدثها ماتيو كأي رجل أعمال آخر ، أراها تقارير ولوائح وملفات ، شارحاً الأعمال الداخلية للمكتب .

- انت مسؤولة يا جاكلين عن هيئة النسخ وسيعمل معك بيشنس وسامسون كما أخبرتك امس . ستهتمين أيضاً بجدول الرواتب والحسابات ، والتقارير المالية . فعليك أن تتبعي خطة معينة لذلك .

- نعم أدرك هذا . اجابته وهي تنظر الى الأوراق المكدسة أمامه .

- ليس لدي وقت ، ولا أحب معاقبة احد . اما المصنفات فعليك الاهتمام بها أيضاً .

- اخبرتني بيشنس انها تهتم بالمصنفات هذه سأطلب منها مساعدتي لأراهم .

- نعم . انها تعلم موضع كل ورقة ، وتجدها أينما صنفت ، ولا احد غيرها يستطيع ذلك .

- وماذا عن السيارات ؟ أخبروني انها تحتاج لجهد كبير كي تصلح للاستعمال .

- انني مسرور أن القي على عاتقك هذه المهمة أيضاً . فلدينا نقص في القطع ، كما ان القطع الموجودة ليست مثبتة بشكل جيد مما يجعل السيارة تتعطل دوماً في أماكن غير مناسبة .

تداولا في جميع الأحاديث الخاصة بالعمل ، من الصناعة المصرفية والأعمال الزراعية الى تصليح السيارات . وما أن حان وقت الغداء ، حتى شعرت جاكلين بارهاق عام ، وأحست بانها لا تستطيع هضم المعلومات جميعها في لحظة واحدة . وفي البيت ، تناولا طعام الغداء المعد من شطائر السمك وسلطة الفاكهة . شعرت جاكلين انها لا تقوى حتى على مضغ الطعام . كان الجو شديد الرطوبة أشبه بحمام بخار على الطراز التركي ، حتى انها شعرت بعرقها يتصبب في ظهرها . . . انسدلت بعض خصلات شعرها الرطب ، فجمعتها خلف أذنيها . نظر اليها عن كثب وقال :

- سأكون مشغولاً هذا المساء ، فلدي موعد مع شركة التطوير الدولية . فما رأيك أن تبقي في المنزل لتنالي قسطاً من النوم ؟

- يا لها من فكرة رائعة . . . سأفعل ذلك حتماً .

صباح الخميس سلمها ماتيو مجموعة وثائق . نظرت جاكلين الى الأوراق التي في يدها ظناً منها أنها وثائق شحن معينة .

- ما هذه ؟

- انها معدات من اجل مشروع الأرز . جاهزة في المطار وعلينا ان نستلمها .

- حسناً سأجلبها .

- ليس الامر بهذه السهولة . . . يجب أن تذهبي فوراً ، والا لن تنهي العمل قبل الغداء . إياك أن تدفعي قرشاً ، فهذه البضاعة لا تخضع للضرائب . هل تعتقدين أنه بامكانك القيام بهذا العمل ؟

ادركت جاكلين فوراً ما عناه . سيهزأ بها رجال الجمارك ، وسيعاملونها كغبية شقراء . انها الفرصة الأولى لها لاثبات ذاتها . اجابته ببرود :

- لا ارى مانعاً في ذلك .

- شيء آخر أريد أن اضيفه ، ان المال في هذا البلد يصنع العجائب ، فاياك أن تدفعي ولو مبلغاً ضئيلاً مهما كانت الظروف ، حتى لو اضطررت للمشاحنة معهم ، واضرام النار على رؤوسهم . هل هذا واضح تماماً ؟

بسطت منكبيها وحدقت به . ألا يعلم انها لا تؤمن بالرشوة .

- لا تخشى على قيمي الأخلاقية ، فقد تأكدوا منها في نيويورك .

- حسناً .

لم تكن المهمة سهلة ، فعلى المرء أن يكون صبوراً وبارداً كي يخلص البضاعة من مبنى الشحن . تنقلت جاكلين من مكتب لآخر ، وملأت ووقعت خمس عشرة استمارة . انتظرت طويلاً وهي تتأمل الجدران القذرة ، والمصنفات المغبرة الموضوعة في الزوايا . كان أحد الموظفين نائماً فوق آلته الكاتبة . تمنت جاكلين أن تحذو حذوه فالحرارة والهواء الراكد استنفدا كل طاقاتها . شعرت بالضجر من هذا الروتين لأنه مضيعة للوقت . لن تخبر ماتيو بهذا ما دام الحل واحداً ولا بد أنه يختبرها . مضى اكثر من ساعتين تمكنت جاكلين بعدها من الوصول الى مكتب الجمارك ، حياها الموظف مبتسماً ، وساعدها في فتح علب الكرتون .

- اجهزة صناعية ؟

- نعم .

- من اجل طاحونة الأرز . ختم الموظف الأوراق وسلمها العلب .

غمرتها لذة الانتصار وهي في طريق عودتها الى المكتب متسائلة : ماذا سيقول سيمونز ! قرعت باب مكتبه ودخلت واضعة العلب على المكتب .

- ها هي البضاعة ، لم يصبها أي ضرر على ما اعتقد .

نظر ماتيو الى البضاعة ، ثم الى جاكلين ، ثم الى البضاعة ، وقال بدهشة :

- اذن استطعت تخليصها .

- طبعاً . اذا كان ماتيو يمتحنها ، فقد نجحت في ذلك وستستمر .

- ألم تواجهي بعض الصعوبات ؟

- دبرت اموري . لماذا ؟

- لأنهم مشهورون بذلك . اجابها وهو يفتح العلب .

توقع ماتيو أن تعود جاكلين متذمرة وشاكية كغيرها من الموظفين ، شارحة له الأمر بأكمله . لا لن تفعل هذا ، ولن ترضي غروره . سألته :

- هل من شيء آخر ؟

- لا . . . حان وقت الغداء فهل أنت مستعدة ؟

ذهبت جاكلين بعد الغداء الى السوق ، تبحث عن أدوات للمكتب . لم تتغير المدينة كثيراً لهذا استطاعت أن تجد طريقها بسهولة .

وفي مخزن الكيتكزوي التقت جاكلين مصادفة وجهاً لوجه مع السيد والسيدة تورنر ومعهما ليزا زوجة ابنهما . وبعد ترحاب حار ذهب الجميع الى مقصف المخزن حيث تناولوا شراباً بارداً . كانت ليزا فتاة جميلة . شعرها أسود وقصير لامع ، وعيناها براقتان محاطتان بنظارات عريضة جداً .

قبلت جاكلين بسرور عظيم دعوتهم الى العشاء يوم السبت المقبل . اذ كانت ترغب من اعماقها أن تتعرف على ليزا . انه لمن السهل أن يبني الانسان علاقات ودية في بلد يعج بالأجانب . لقد انتقل معظم معارف جاكلين من جالية المغتربين الى اماكن اخرى ، فمن عادتهم ألا يستقروا في مكان واحد اكثر من عدة اعوام . انتقلت جاكلين الى شقتها مساء يوم الجمعة ورائحة الدهان والشمع لم تزل عابقة . اخذ كوبيسي على عاتقه اصلاح الشقة خلال يومين بتعاونه مع رفاقه . كما وضع النجار اطارات جديدة للمداخل . دهشت جاكلين لسرعة انجاز العمل . لم يكن الطلاء متقناً تماماً ، ولكن لا بأس به ما دام قد أضفى على الغرفة حلة بيضاء جميلة ، وأعطى الأرض لمعاناً وبريقاً . ذهبت صباح يوم السبت لشراء ما يلزمها من سوق الماكولا اكبر سوق في وسط المدينة . وكثيراً ما كانت تمضي

فيه ساعات طويلة تبحث عن خرز أو أقمشة لخياطة فستان لها . شعرت جاكلين بالعرق يتصبب من جسمها اذ كانت الشمس حارة ، والسوق محتشداً وعابقاً بالحرارة . وجموع الناس تحاول أن تتمشى بين الأكشاك ، والنساء بحمولتهن الثقيلة على رؤوسهن يستعملن أكواعهن كمقود لفسح الطريق خلال الممرات الضيقة . سحرها المنظر فالتهمته بعينين فضوليتين . عرضت البضائع على الأرصفة كي يتم تفتيشها بما فيها من سلال ، وأدوات من الفخار ، وخرز وأدوية طبية . كما رتبت الخضراوات بشكل أنيق من بندورة وفليفلة حرة ، وبامية . أما اللحم فلم يثر شهية جاكلين على الرغم من أنواعه وأشكاله . تنقلت جاكلين بين الأكشاك لتشتري قماشاً يصلح لصنع الستائر . كانت الأقمشة بألوانها الزاهية المطبعة على الطريقة الأفريقية مكدسة ، أو معلقة بشكل أنيق على حوامل للعرض .

أخيراً ، عثرت جاكلين على ما يناسبها من قماش الستائر . سارت خلفها حاشية من بنات صغيرات يحملن القماش الى أن استقرت في سيارة اجرة أقلتها الى منزلها . خرج كوبيسي ليساعدها في حمل الأغراض ، بينما بقي ماتيو امام الباب ينظر اليها بعصبية معلقاً :

- آمل ألا تكوني قد ارتكبت غلطة ما ؟

- غلطة ! أية غلطة ؟

وبصبر نافد أشار الى السلال والقماش والأواني :

- لو كنت مكانك لما انفقت أموالي هباء ، فقد لا تعوضينها . . . هل تعلمين هذا ؟

خفق قلب جاكلين لدى سماعها كلماته ، فعضت على شفتها غضباً . لماذا يعكر مزاجها كلما كانت تتمتع بروح معنوية عالية ؟ شعرت بانها متعبة ، واضطرم نار الغضب في بلعومها وقالت :

- لا بأس . اعتقد انك لم تلاحظ بانني مصرة على الاستقرار هنا ، والاستمرار بالعمل سواء راق لك هذا أم لا .

اجابها ببرود :

- لاحظت ذلك ، ولكنني اريد ان تدركي انني لم أقرر بعد منحك

العمل ، والأجدر بك أن تأخذي ذلك بعين الاعتبار ، وتوفري على نفسك عبء التجوال .

ثم انصرف مغادراً المنزل . كانت جاكلين مسرورة لأنها ستغادر المنزل في المساء لتغير من طريقة معيشتها . دعاها كويسي لتناول الغداء الذي لم تشعر انها بحاجة اليه كيلا تجلس مع ماتيو ، وتجاذبه أطراف الحديث .

ـ كويسي .

ـ نعم يا سيدتي .

ـ هل يضايقك أن تحضر لي طبقاً من سلطة الفواكه ، وكأس ماء الى هنا ؟

ـ حاضر ياسيدتي . هل انت بخير ؟

ـ انني متعبة يا كويسي هذا كل ما في الأمر .

استراحت جاكلين في غرفتها بعد أن استحمت ، وشعرت بالانتعاش الذي لن يدوم طويلاً ، اذ لن يلبث العرق أن يتصبب منها خلال دقائق لأنها لا تملك مكيف هواء في غرفتها .

تناولت ما أحضره كويسي ، ثم استلقت على سريرها بصحبة أحد الكتب ، وما لبثت أن نامت طوال فترة بعد الظهر كالمنهكين . أتى ابن السيد تورنر في السابعة والنصف مساء ، ليصطحب جاكلين لأنها لا تعرف العنوان . ارتدت ثوباً قطنياً طويلاً ، أزرق وأخضر ، ورفعت شعرها الى الأعلى ، لكنها لم تنجح في رفع خصلات شعرها التي تدلت خلف أذنيها . وبينما كانت تنتعل حذاءها سمعت طرقاً خفيفاً على الباب ، واذ به ماتيو مرتدياً بنطال جينز وقميصاً . قال بسخرية رافعاً أحد حاجبيه :

ـ هناك شخص يدعى جون تورنر ينتظرك في غرفة الجلوس . هل تريدين أن أحضره الى هنا ؟

ـ لا اشكرك . انني جاهزة .

وبعد محاكمة عقلية ، قررت أن تطلب من زوارها القدوم الى مدخل البيت الأمامي الخاص بها . وضع ماتيو يديه في جيوبه ، اتكأ الى الباب ، وغمرها بنظرة ملؤها الاعجاب وقال :

ـ تبدين سيدة تماماً .

تجاهلت تعليقه ، وأخذت حقيبة يدها .

ـ من فضلك ، اريد ان اخرج . أردفت عندما لم يفسح لها المجال .

أفسح لها الطريق قائلاً :

ـ ومع انك لا زلت صغيرة ، لم تحتاجي وقتاً طويلاً للتأرجح على حبال الهواء .

أيقظت كلماته الغضب في أعماقها ، فأطبقت أسنانها حانقة . لماذا لا يتركها وشأنها . لحظته وهي تحملق في وجهه ثم قالت ببرود :

ـ هذه ميزة كوني شقراء غبية ، ليس لدي وقت للملل .

مال برأسه الى الخلف ، وانفجر ضاحكاً .

كان جون تورنر أنيقاً جداً كأولئك الرجال الذين يظهرون في الاعلانات لعرض الأزياء الخاصة بالرجال . كانت أسنانه بيضاء ، وشعره مصففاً بشكل دقيق . فلا عجب أن يفكر ماتيو بأن جون صيد فاخر . ولكن جاكلين ضحكت في سرها لأن جون ليس هو النوع المفضل لديها . اتجها الى السيارة ، وفتح جون الباب لجاكلين ، واتخذ كل منهما مكانه . قال مبتسماً :

ـ اخبرني والدي كل شيء عنك ، من الممتع أن يجد الانسان من يتكلم معه على متن الطائرة اذ أن الرحلة مميتة ! أليس كذلك ؟

ـ ليست ممتعة .

ـ انتا تعيش في شمال لابون هل تعرفينها ؟

ـ اجل ! عشت مع والدي في كاتونغيتز عند طرف شمال لابون .

كان منزل عائلة تورنر واسعاً ، وجميلاً ، ومكيفاً مما سر جاكلين كثيراً . والبرودة منعشة تتنافى مع الحر الخارجي ، وتشجع على تناول وجبة لذيذة حارة .

استقبل الجميع جاكلين بترحاب . وبدأ السيد والسيدة تورنر يقصان عليها ما جرى معهما خلال الأيام الفائتة غير آبهين من سيبدأ قصته أولاً ومن سيتابع . مما جعل المواضيع مبهمة . فانفجرت ليزا ضاحكة ، وهز جون رأسه قائلاً :

ـ اعتقد انهما استمتعا بوقتهما حتى الآن ، فما أخبارك أنت يا جاكلين ؟

اجل ما اخبارها هي ؟ لم تتمتع بشيء بعد ، وليست متحمسة شي
بسبب رئيسها الجديد . طبعاً لا تستطيع اخبارهم بهذه التفاصيل ، لهـ
ضحكت قائلة :

- انني مسرورة لأنني عدت الى غانا ، ولكن حدث التباس عند
وصولي ، وغدا الأمر على ما يرام بعدئذ ، وسأنكب على عملي الجديد .

اجابها جون :

- لا ترهقي نفسك به خاصة في هذا الطقس السيء .

توجه الجميع بعدئذ الى غرفة الطعام عندما أعلنت المضيفة ان طعا
العشاء جاهز .

- يا له من طعام لذيذ . لا شك انك ذهبت الى لومه . تذكرت رحلات
امها القصيرة عبر الحدود الى مدينة توغو حيث كانت تجلب كل ما يتخيل
المرء من أشياء مستوردة من فرنسا بما فيها مياه الشرب . ضحكت ليزا :

- وكيف عرفت انني أذهب الى هناك ؟ هل تودين الذهاب معي في
مرات مقبلة ؟

تخيلت جاكلين ما قد يقوله ماتيو فيما لو طلبت منه يوم اجازة لتذهب ال
توغو .

- ارغب في ذلك ، ولكنني لن اتمكن من الذهاب في هذه الفترة لأني
بدأت العمل لتوي ، ولا اظن ان رئيسي سيوافق على منحي اجازة .

- لقد نسيت انك فتاة عاملة . اخبريني ان كنت بحاجة لشيء ما ،
وسأحضره لك بكل سرور .

امضت جاكلين امسية رائعة بينهم ، شعرت وكأن سحابة من الهـ
انقشعت عنها ، فها هي تتنفس بارتياح وسعادة . أعادها جون الى منزلها ف
مساء تلك الليلة ، فاستقبلها علي الحارس وفتح لها البوابة .

- شكراً لك يا جون ، لقد امضيت امسية رائعة .

- أهلاً وسهلاً ها قد عرفت العنوان ، تعالي متى شئت . تعالي أثنا
النهار لتشاهدي ابنتنا الجميلة الصلعاء .

- يا لها من طفلة مسكينة ، ضحكت جاكلين وهي تخرج من السيارة ،
عمرها ستة أشهر ، ولا شعر لها .

ثم تمنيا لبعضهما ليلة سعيدة ، وقاد سيارته عائداً الى منزله .

ما ان وصلت جاكلين الى المنزل ، حتى رأت بابها الأمامي الخاص مفتوحاً على مصراعيه ، ولاح خيال ماتيو الطويل نتيجة الأضواء المنبعثة من غرفة جلوسها . سحقها غضب عنيف . ان هذا منزلها فلماذا يقف ماتيو في غرفتها ؟

٣- رقة غير منتظرة

لم يتفوه ماتيو بكلمة عندما دخلت جاكلين الغرفة، وانتظر لتبدأ هي بالحديث.

حدقت به غاضبة وقالت:

- ماذا تفعل هنا في شقتي؟

- لا شيء، ألقي نظرة.

- تلقي نظرة، ومن سمح لك ان تتطفل على شقتي؟

- أتطفل. من قال هذا؟

- أنا!

خرجت جاكلين الى غرفة الجلوس بسرعة، فدخل وراءها وأغلق الباب. أقلقها صوت صادر من الحمام، فتجمدت في وسط الغرفة.

سمعت من خلال الباب المغلق صوت مذيع رياضي، فنظرت اليه مرتبكة تماماً:

- ما هذا؟

- صوت المذياع ينقل أحداث مباراة الملاكمة.

أشارت جاكلين الى الحمام.

- من هناك؟

- كوبسي.

- ما رأيك ان تخبريني بما حدث.

- لم تعطني فرصة لذلك.

فتحت باب الحمام، فرأت الماء يتدفق في كل مكان، وقد وقف كوبسي في الوسط ببنطاله المكفوف، يحاول ان يجفف الماء بالممسحة والسطل. كان الراديو الصغير موضوعاً على خزان الماء ينقل أخبار المباراة بحرارة. أنعمت جاكلين النظر للحظة، ثم أغلقت الباب، وعادت الى غرفة الجلوس حيث جلس ماتيو يراقبها بنظرات ساخرة وأردف:

- بعد ان رأيت ما حدث، فهل تسامحيني لأني وطأت أقدس المقدسات؟

هزت جاكلين رأسها وسألته عما حدث:

- لقد انفجر أحد الأنابيب. اكتشف علي ذلك أثناء تجواله اذ كانت نافذة الحمام مفتوحة، فسمع صوت الماء يتدفق. وبما انه يعلم انك لست موجودة، قصدني وأخبرني بالأمر، لعلك تخمنين ما جرى بعد ذلك.

- أعتقد انني لا أستطيع استعمال الحمام الآن.

- ان هذا يتوقف على سرعتك في اصلاحه. سأعطيك عنوان المصلّح يوم الاثنين. أعتقد انك تستطيعين حل هذه الكارثة على أحسن وجه.

- أشكرك.

- انه جزء من عملك اللامع.

- انني أدرك ذلك تماماً.

- لم يعد لي حاجة للبقاء هنا.

نهض ومشى باتجاه الباب المشترك وأردف:

- على فكرة عندما تصلين بالمصلّح دعيه يأتي الى المكتب لاصلاح صنبور الماء اللعين. كما يمكنك ان تتابعي مهمتك وتعرفي ما حل بأمر الهاتف والمكيّف معاً. سأعطيك التفاصيل يوم الاثنين.

وقبل ان تجد الجواب الملائم، أغلق الباب. رمت جاكلين حذاءها بتعب، وسرت بجسمها موجة وهن عارمة. لقد حدثت لها أشياء كثيرة في الأيام الأخيرة. أخذت تجمع الحوادث مع بعضها بعضاً.. قدومها الى غانا ولا أحد في استقبالها.. استقبال في المكتب بلا ترحاب... علاقتها مع ماتيو المؤدية الى كارثة. بدا لها ان كل أعمال المكتب لا فائدة مرجوة منها. كانت لياليها حارة وغير مريحة، ونومها سيء، وفي الصباح كانت تستيقظ والعرق يتصبب منها وتبقى متعبة.

دخل كويسي غرفة الجلوس ضاحكاً حاملاً الممسحة والسطل والراديو الصغير، ومبللا وقال:

- انتهى الآن، كان هناك الكثير الكثير من المياه.
- أشكرك كثيراً يا كويسي. آسفة لازعاجك في وقت راحتك.
- لا بأس أحضرت المذياع معي لأستمع الى الملاكمة وأنا أعمل.
- اني سعيدة لأنك إستمتعت بها! من الفائز؟
- بويزون. اني أفضله عن الآخرين.
- عظيم.

اتجه كويسي نحو الباب فسألته جاكلين:

- هل تعرف خياطة قريبة. لقد اشتريت بعض الأقمشة لأصنع ستائر، وأفتش عمن تخيطها لي.

ضحك بفخر وقال:

- ان زوجتي تخيط الثياب والأشياء الأخرى، ولديها آلة خياطة تستطيع ان تخيط لك الستائر سأخبرها بالأمر.
- رائع، سأكلمها غداً هل ستكون في المنزل؟
- انها تذهب الى الكنيسة في الصباح، ثم تعود الى المنزل.
- اذن اتفقنا. أشكرك.
- آه، صحيح، لقد قطع السيد سيمونز الماء عن الحمام. فالأفضل ان

تستعملي الحمام الآخر.

- تصبح على خير.

جلست جاكلين في سريرها حزينة وكئيبة. في صباح اليوم التالي، شعرت بتحسن، وأعدت لنفسها قطعة من الخبز، وفنجاناً من الشاي، وخرجت الى الشرفة. كان الوقت باكراً حوالي السادسة صباحاً، وأكرا تنعم بهدوئها، فما زال الناس نائمين اذ لم تسمع أي صوت من جيرانها. تجولت دجاجة وفراخها في الحديقة تنبش الأرض هنا وهناك بحثاً عن الطعام. اتكأ عصفور أسود كبير بصدره الأبيض على شريط الكهرباء في سكون سحري، رشفت جاكلين الشاي ببطء متمتعة بجو الصباح الباكر. ماذا تفعل في يوم الأحد هذا؟ هل تكتب رسائل، ام تقرأ كتابا ما، أم تفصّل الستائر؟ لو كان لديها مزهرية لقطعت بعض أغصان البوغنفيلية وزينت الغرفة. استرخت في كرسيها. ما أجمل ان تقضي يوماً هادئاً بعيداً عن ذاك المكتب غير المنظم العشوائي. وبعيداً عن ماتيو نفسه. ليتها تستطيع الابتعاد عنه في المنزل. كان من الصعب عليها ألا تفكر به حتى ولو لم يكن معها، ولا تستطيع تجاهله عندما يكون موجوداً. انه يفرض نفسه أينما وجد وكأنه يشع نوراً من كهرباء لا يمكن تجاهله. تنهدت وأغمضت عينيها. بدأ العالم يستيقظ رويداً رويداً. حلقت طائرة في السماء، فأصغت جاكلين الى صوتها حتى اختفى. طفل يبكي، أصوات تأتي من جناح الخدم، وبعضهم يضحك، سمعت صوت ماء يتدفق، وأصوات الأباريق والمقالي. لقد ابتدأ النهار.

استغرق تفصيل الستائر وقتاً أطول مما توقعت. ولم تنته الا بعد الظهر. مشت جاكلين باتجاه منزل كويسي المبني من الاسمنت، وقد حملت القماش على ذراعها. كانت ايفلين زوجة كويسي جالسة على الشرفة، تدق بالهاون بعض حبات البطاطا. والى جانبها صديقتها التي كانت تساعدها بحركات سريعة تنم عن خبرة كبيرة. كانت السيدتان ترتديان قماشاً ملوناً يتدلى من الصدر حتى الكاحل. وعندما شاهدتا جاكلين، توقفتا عن العمل ونظرتا اليها بحياء. قالت جاكلين:

- أعتقد انه لا يوجد لديك مانع من ان تخيطي لي هذه الستائر، لقد

فصّلتها.
هزت ايفلين رأسها وقالت:
- أخبرني كويسي.. نعم أستطيع. أخذت ايفلين القماش من جاكلين، انه قماش جميل. هل وجدته في السوق؟
- نعم. لقد اشتريته أمس. متى أحصل عليها؟
- غداً على ما أظن.
- كم سأدفع لك؟
اتفقتا على السعر ثم عادت جاكلين الى بيتها بينما انهمكت النساء بتحضير الطعام.
استلمت جاكلين الستائر في الموعد المحدد. وأضفت رونقاً وجمالاً على الشقة، وأعطتها طابعاً منزلياً أليفاً. حملت الأسابيع التالية معها تباشير جديدة. فقد استبدل أنبوب الماء، وأصلح الهاتف، وأعيد تركيب مكيف الهواء. كل ذلك خلال عشرة أيام. أدهش ذلك جاكلين لأنها لم تتأمل ان ينجز العمل بهذه الفاعلية. لقد حققته بنفس مشرقة واصرار. اذ كانت تذهب كل يوم مرة او مرات لترى العمال، فتارة تضحك معهم، وتارة تثقل عليهم بالنكات، حتى اضطروا ان ينهوا عملها ليتخلصوا منها. سألها ماتيو وهو يتفحصها عن كثب:
- كيف أنجزت هذه الأعمال كلها وبهذه السرعة؟
- لا تقلق لم أدفع قرشاً.
- ماذا فعلت اذن هل أغويتهم؟
اذا أراد ان يكون وقحاً، فستحذو حذوه، نظرت اليه ببراءة وعينين محدقتين وأجابته:
- وهل هناك طريقة أخرى؟
عملت جاكلين في الأشهر التالي بنشاط لترتيب اعمالها، وتنظيم المصنفات. ولاحظت وهي تعمل مع بيشنس ان عليها الأخذ بزمام المبادرة والبدء بتبويب المواد. لم تستمتع بهذا العمل الذي استغرق وقتاً كبيراً لتصنيف الأوراق المكدسة في الخزائن يعلوها الغبار، والتي حفظ معظمها كمراجع. تنهدت جاكلين اخيراً، وهي سعيدة، لأنها تعلمت بعض

الأشياء، كتخزين الذرة، وإطعام الدجاج، وزراعة الفول السوداني. في احدى الليالي قاربت جاكلين على انهاء العمل، بعد ان عملت بجد الى ساعة متأخرة من الليل بدون ان تشعر بمرور الوقت. كانت أشبه بآلة اوتوماتيكية تعمل بلذة وروتينية اذ كانت هذه هي الطريقة المثلى التي تمكنها من انجاز العمل. وفجأة قطع صمت المكتب الهادىء صوت الباب الأمامي يغلق بعنف، وظهر ماتيو بقامته الطويلة واقفاً على العتبة، نظيفاً وأنيقاً وما زال شعره ندياً، مما يدل على انه قد أخذ دوشاً لتوه.
أدركت جاكلين فوراً انها تجلس وسط الأوراق المتراكمة التي تعلوها الغبار، والأوساخ والرطوبة الشديدة، وقد جفّ حلقها وأنفها من رائحة الغبار المتناثر أثناء تبويب الصفحات وترتيبها. حدق في وجهها بدهشة قائلاً:
- تساءلت أين ذهبت. ألا تظنين انك تعملين كثيراً، فالساعة قد تجاوزت السابعة مساء.
شعرت جاكلين بالمقاومة تغلي في عروقها فأجابته ببرود:
- لا تقلق! لن أطالبك بأي أجر اضافي.
- حسناً! لماذا لا تتركين العمل للغد، وتعودين للمنزل لنأكل شيئاً؟
- لست جاهزة الآن. بامكانك ان تخبر كويسي بذلك. سأعد شيئاً لنفسي عندما أعود.
- ان كويسي في اجازة اليوم.
- أجل نسيت ذلك.
- لا تعملي بهذه الطريقة، انفجر صوته يشوبه القلق المفاجىء، يجب ان تنالي قسطاً من الراحة، فاذا استمريت بالعمل على هذه الطريقة في هذا الطقس السيء، فانك لن تصمدي كثيراً.
شدّت على قبضة يديها، لماذا لا يدعها وشأنها. انها تستطيع الاهتمام بنفسها. ليست بحاجة الى تدخله الدائم.
- ساعتني بنفسي أشكرك!
زادت ملامحه قسوة وومض بريق في عينيه وقال:
- اذا كنت تعتقدين انك تعملين بهذه الطريقة للتأثير فيّ، فانك مخطئة

تماماً. ليست هذه طريقة ناجحة.

- دعني وشأني، سأقوم بعملي على النحو الذي أحب.

بدا بينهما صمت مشحون بالكهرباء. لم تخطف بصرها عنه. كان فمه قاسياً ومحدداً.

- حسناً، (قال ببطء)، افعلي ما يحلو لك. ثم خرج من المكتب صافعاً الباب وراءه. لقد رحل. ها هي سيارته قد انطلقت.

عرفت جاكلين ما كان يدور في ذهنه... لماذا اهتم بها.. كلما انهارت بسرعة، كلما تخلص منها بوقت أسرع. عاد كل شيء من حولها الى هدوئه. تأملت الأوراق امامها. كانت عيناها تحرقانها، كما شعرت بجوع وعطش شديدين. ترى هل ظن ماثيو انها ستأتي المنزل لتحضر طعامه أثناء غياب كويسي؟ يا لحظك السيء يا أخي.. حضّر طعامك بنفسك. قطع مجيء ماثيو الى المكتب تسلسل عمل جاكلين، حاولت بعدها العودة الى العمل فلم تفلح، تركت الأوراق جانباً، وغادرت المكتب متجهة الى المنزل بعد ان أحست بالجوع والحر والاتساخ. نظرت الى نفسها في مرآة الحمام، وبدا وجهها رمادياً بتأثير الغبار. أخذت دوشاً، وارتدت ملابس نظيفة، ثم اتجهت نحو المطبخ لتأكل. كانت غرفة الجلوس خالية، ولم تتوقع ان تجد الثلاجة مليئة بأنواع كثيرة من الطعام (بيض مقلي بالبصل والبندورة، وشريحة من الأفوكادو، وسلطة الفاكهة).

تيقنت الآن ان ماثيو حضر الطعام على أمل ان تشاركه. ولما لم تحضر ذهب ليتفقدها. داهمها شعور بالذنب. جلست الى المائدة تأكل نصيبها من الطعام. اجتمع سرب من النمل على فتات الطعام الذي تركه ماثيو، وأخذ يلتهم ما حوله بنشاط مذهل. نظرت جاكلين في أرجاء الغرفة الخالية، وشعرت بوحدة قاتلة... الى متى سيستمر ازعاج كل منهما للآخر. في صباح اليوم التالي، قدم كويسي طعام الافطار، ووجهه ينم عن كآبة كأنما اعترته مصيبة، نظر ماثيو اليها متسائلا ترى ماذا أصابه؟ فهزّت جاكلين كتفيها مشيرة ان لا فكرة لديها عما اعتراه.

- من فضلك، لم يعد لدي صابون لغسيل الأطباق. قال كويسي وهو يرفع الأطباق عن المائدة:

- لقد فتشت جميع الأسواق بما فيها سوق ماكولا ولكن عبثاً. وجربت مسحوق الغسيل لكنه ليس جيداً للأطباق. وأريد ان أحتفظ بما تبقى منه لغسيل الثياب.

رشف ماثيو ما تبقى من قهوته ونظر الى جاكلين قائلا:

- ان هذا من اختصاصك.

- لم يدرج هذا في جدول أعمالي.

- أعلم انه لا علاقة لعملك بهذا. ولكن الأمر يتعلق بالتحدي اليومي للحياة في جنة النخيل. كما لاحظت ان هذه المشكلة ذات حجم عظيم، ولكن خريجة جديدة مثلك قادرة على معالجتها.

لماذا يعاملها بهذه الطريقة طوال الوقت؟ بامكانها وبكل سرور ان تخنقه لغروره وتصرفاته الوقحة.

ضحك وهو يمسك بحقيبته:

- سأراك في المكتب.

بقيت جاكلين مع كويسي ينظر اليها، متوقعاً منها ان تصنع العجائب بلا شك. لم تكن المشكلة جديدة، حاولت ان تتذكر ماذا يفعل الآخرون في مثل هذه الحالة. استعرضت شريط ذاكرتها حتى وجدت الحل.

- هل عندنا أي نوع من الصابون يا كويسي؟

اومأ برأسه وذهب الى غرفة المؤونة، وعاد يحمل برميلا من مادة صفراء أميل للون البني. كان نوعاً من الصابون المصنوع محلياً المستعمل لجميع الأغراض.

- سنحتاج الى نصف هذه الكمية المبشورة، وسنضيف اليها بعض الليمون، لنحصل على سائل مدهش من الدرجة الأولى.

اعطته بعض التعليمات، نظرت الى وجهه المفعم بالشك وذهبت الى المكتب. عادت جاكلين من عملها، فوجدت البخار يتصاعد من السطل الذي أعده كويسي. وضعت الصابون المبشور مع قطع الليمون وعصيره، وبدأت بتحريكه وهي تهتف:

- سنحصل على هذا السائل المدهش.

كان كويسي ينظر اليها بعينين ملؤهما الحيرة. دخل ماثيو المطبخ ونظر

بدهشة الى جاكلين، ثم الى كويسي، ثم الى البخار المتصاعد وقال:

- هل لي ان أعرف ماذا تصنعان؟

نظرت جاكلين اليه باستعلاء، وأجابت:

- نصنع سائلا لتنظيف الأطباق.

- حسناً، امرأة ذات مواهب مختلفة.

- بالتأكيد.

نظر ماتيو الى السطل الذي يغلي وسألها مكشراً:

- هل هذا ما تسمينه سائل الجلي؟

سرّ كويسي لأن ماتيو شاركه في عدم الثقة والحماس لما تصنعه جاكلين.

- من أين حصلت على هذه الوصفة؟ شعرت جاكلين من صوت ماتيو انه لا يسخر منها هذه المرة فبادلته الابتسامة.

- وجدته في كتاب السحرة الخاص بذلك.

- هذا ما كنت أخشاه.

تابعت جاكلين مبتسمة تحريك المزيج قبل ان تتركه ليبرد، وهي تفكر ان الابتسامة في عيني ماتيو أضفت عليه جمالاً. تعجبت من المعارك المحتدمة بينهما. اذ ما تلبث الرقة التي ترفرف عليها لبرهة ان تنقلب الى عداء عظيم. لم يكن على جاكلين ان تتدبر أمر الصابون فحسب، بل عليها تدبير أمور اخرى. فما زالت احدى السيارات معطلة منذ أسبوعين لنقص في احد أجزائها غير المتوفرة، ونتيجة لذلك فقد تعطلت أمور المكتب، مما أدى الى نفاد صبر ماتيو وزاد من عصبيته. رأت جاكلين ان تذهب الى توغو لتحضر قطع السيارة من لومه. وعندما ناقشت الأمر مع ماتيو، قطب جبينه مما أوحى لها انه يرفض اقتراحها.

- يجب ان أذهب بنفسي. ان المشاحنة مميتة، ولا استطيع ان أبدأ بالشرح.

- اذن لا تفعل. سأجد ذلك بنفسي. هذا هو عملي وسأقوم به.

- هل انت متأكدة انك تريدين المحاولة.

- بالتأكيد.

- حسناً. كيف لغتك الفرنسية؟

- لا بأس بها. ليست كما يجب.

- تحتاجين الى تأشيرة دخول الى توغو لأن لومه على الحدود تماماً، كما انك بحاجة الى تصريح للعودة الى غانا، وشهادة قيادة دولية.

استغرق الحديث أكثر من نصف ساعة لمناقشة بقية التفاصيل، ثم رسم ماتيو خريطة لومه عاصمة توغو المؤلفة من عدة شوارع رئيسية. أما البنك ووكلاء السيارة فقد اشتركوا في بناء واحد.

تأكدت جاكلين انه أصبح يثق قليلا بامكاناتها، ولذلك عهد لها بهذه المهمة. ربما كانت لديها خبرة ما... لا كما حكم عليها مسبقاً. ترى ألم يخطر بباله ذلك؟

خابرت جاكلين ليزا فور وصولها الى مكتبها قائلة:

- سأذهب الى لومه من أجل العمل. هل تريدين ان تأتي معي لشراء بعض المأكولات؟

- طبعاً سآتي. وسأترك طفلتي عند غلاديس. هل ستعودين في اليوم نفسه؟

- نعم سأشتري قطع غيار لاحدى سياراتنا، وبعض الأغراض الخاصة بي. اني أتوق شوقاً لقطعة من الجبن.

- وتفاح.

- وفطر.

- اعرف مطعماً فرنسياً يقدم حساء البصل سنذهب اليه. آه كم انا جائعة.

- اذن ستكونين القائد لأنني لا أتذكر الطريق كثيراً، فقد كنت أذهب مع والدي.

أمضت جاكلين اسبوعاً تؤمن الأوراق اللازمة. ذهبت كالساعي من البنك الى شركة التأمين، ثم الى مكتب الشهادات ثم الى سفارة توغو، ووزارة الداخلية. انتظرت كثيراً هناك ثم أخبرت بأن تعود خلال يومين. أخيراً تم كل شيء، وأصبحت جاكلين جاهزة للسفر. بدأ الليل ينجلي، وغادرت جاكلين المنزل صباحاً في الساعة الخامسة والنصف. كان الفجر الرمادي يهيمن بهدوء على الأشجار والأبنية، وما لبثت الشمس ان أشرقت

في الساعة السادسة. وبزغ نهار جديد. لم تكن وحيدة على الطريق فهنا[ك] الكثير من المارة المسرعين. كان حراس الليل يتمشون بثيابهم الزرقاء ا[و] البيضاء الطويلة، يغدون الى منازلهم او يروحون الى أعمالهم. كانت ل[يزا] تنتظرها وسرعان ما خرجتا من المدينة باتجاه الشرق. لم تكن الطرقات مزدحمة فتمتعتا بمنظر الريف الهادىء، والعديم اللون نظراً لاختفاء بريق الشمس. أحضرت ليزا معها ترموس قهوة حارة ومكثفة، وبعض البسكوت المغذي اللذيذ. مرت بالقرب منها شاحنة ما لبثت ان تجاوزتها وهي تهتز وترتجف. كانت محملة بالمسافرين الذين تمسكوا بحرص بالمقاعد الخشبية الموجودة في مؤخرتها.

انه لمن الجنون المطلق ان يقطع المرء هذه المسافة للذهاب الى المجمع الاستهلاكي. الا ان كثيراً من المغتربين كانوا يتوقون الى شراء ما اعتادوا عليه في ديارهم. اذ كان التكيف مع ظروف معيشية أخرى امراً صعباً بل مستحيلاً. تذكرت ما قاله ماتيو عن ديانا، عادت الى الوطن اذ لم تستطع تحمّل الحرارة والمشاحنات.

فهل يهم المرأة اذا أحبت رجلاً توفر الأشياء الكمالية التي اعتادت عليها في وطنها؟ فالحب، والصداقة، والاهتمام الحقيقي تعويض لكل ما يفتقده المرء. ولكن ما مدى العلاقة بين ديانا وماتيو؟ قطعت ليزا أفكار جاكلين سائلة:

- تبدين جدية للغاية. ما الأمر؟

- لا أبداً كنت أفكر... اخبريني يا ليزا هل تعرفين خطيبة ماتيو؟

- تقصدين ديانا. نعم كلنا نعرفها. كانت عارضة أزياء طويلة جداً شمطاء... او بالأحرى كتلة من شعر أحمر، مثيرة... عادت الى الوطن منذ أمد قصير. أليس كذلك؟

- نعم لم تستطع العيش هنا. ولهذا يعتقد ماتيو ان هذا البلد لا يناسب المرأة، فهو يقاومني ويريد رجلاً مكاني لهذا العمل.

- أفهم ما تقصدينه.

أرادت جاكلين ان تثق بأي شخص، وان يكون لها صديقة، وهي تحب ليزا. ثم أردفت ليزا:

- ماتيو يشعر بالمرارة لأن ديانا رفضت البقاء معه. وهو ينتقم منك لأنك امرأة. ولكن ما علاقتك انت اذا لم تستطع ديانا التكيف مع الضغوط؟

- شيء من هذا القبيل.

- انه لمن السخف ان يظن انك لا تستطيعين القيام بالعمل. ان هذا البلد يعج بالنساء العاملات الناجحات في السفارات وهيئة الأمم وحتماً ستنجحين أنت أيضاً.

- أعلم هذا ولكن ماتيو لا يقتنع بذلك. وكأني عثرة في طريقه. انه يخنقني معظم الوقت محاولاً ان يهددني ويخيفني. فكيف يمكنني العمل مع هذا الشخص؟ آسفة يا ليزا كان عليّ الا اقول شيئاً، ويجب ألا اتحدث عن رئيسي، انسي ما قلت.

- بالتأكيد. انك بحاجة ان تفصحي عما في نفسك. كلنا بحاجة الى ذلك أحياناً لا تقلقي لن أتفوه بكلمة فأنا كالبئر العميق.

نمت بعض حشائش السافانا بين القرى، بينما كانت النباتات الأخرى قليلة ويابسة لذا كان المنظر عارياً وفارغاً. وكلما اقتربتا من الحدود، كلما زاد الاخضرار حيث ظهرت أشجار جوز الهند، كما لاحت مياه المحيط المتلألئة من بعيد. وصلت جاكلين وليزا الى القاو بعد الثامنة صباحاً. كانت مدينة الحدود مفعمة بالنشاط والحيوية كأنها أحد الأسواق التجارية. وملأت الأكشاك بالبضائع التي يندر وجودها في باقي المدينة.

وصلتا بناء الجمارك الواقع على الطرف الأيمن من الشاطىء، فنزلت ليزا من أجل الجوازات والتصاريح وأوراق أخرى. بينما مكثت جاكلين في السيارة تستمتع بمنظر مياه المحيط الأطلنطي التي تتلألأ تحت أشعة الشمس، والتي تتقاذفها الأمواج فوق الشاطىء الرملي. وتستنشق رائحة الماء المالح الممزوجة برائحة السمك.

تمنت جاكلين ان تعود ليزا بسرعة. فقد غدت السيارة عابقة، ودخل الذباب اليها بشكل لا يحتمل، ولا تملك شيئاً لتقضي عليه. عرضت عليها فتاتان صغيرتان ان تشتري من سلالهن المليئة بالجزر والموز والأناناس. لا انها تريد فقط شراء أداة لقتل الذباب. وعادت ليزا أخيراً. واجتازت السيارة الحدود، فتوقفتا عند بناء جمارك. ذهبتا بعدئذ الى البنك لاحضار

الفرنكات، وتركت جاكلين لائحة القطع مع التاجر لتأخذها منه فيما بعد. أرتها ليزا المجمع الاستهلاكي الجديد ذا الموقف الفخم الخاص بالسيارات. نظرت جاكلين اليه بدهشة:

ـ لا أصدق عيني، هل انا في اميركا؟

كان المخزن مكيفاً من الداخل بشكل مدهش. كم شعرتا بلذة كبيرة، وهما تتمشيان بين الأجنحة التي امتلأت رفوفها بالبضائع المستوردة من فرنسا وغيرها. قالت ليزا:

ـ لا أحب عادة التجوال في الأسواق. ولكنني كلما أتيت الى هنا أشعر وكأننا في فترة عيد الميلاد.

وما ان حان وقت الغداء، حتى كانت السيارة محملة قدر طاقتها بالجبن والفطر، وزيت القلي، وحليب البودرة، والدجاج المثلج، والصابون، ومئات من لفافات ورق المحارم. كانت الحرارة لا تطاق في السوق المغطى... واحتشد الناس يتدافعون حول الأكشاك. جلست النساء خلف أكوام البصل، والبندورة، يثرثرن ويضحكن. نظرت جاكلين الى مشترياتها، وعرفت ما يتحلى به الافريقيون من خيال وإبداع. غادرتا السوق بعد الساعة الواحدة ظهراً يتبعهما طفل يحمل الثلج، وطفلة تحمل على رأسها سلة مليئة بالخضار. كانت السيارة كالفرن، فوضعوا بسرعة المشتريات في السيارة ثم الثلج في البراد المخصص لحماية الأشياء. تناولتا طعام الغداء المكون من قطعة لحم مشوية وحساء البصل في مطعم صغير.

لفحتهما الحرارة عند خروجهما كغطاء صوفي ندي. كانت المقاعد ساخنة جداً. فاضطرتا ان تغطيها بقماش قبل الجلوس فوقها. وخلال دقائق تبللتا عرقاً. انتظرتا عشرين دقيقة عند وكيل السيارة حتى أنهى الفاتورة.

وصلتا أخيراً الحدود، بعد ان تجاوزت الساعة الثالثة عصراً. نظرت جاكلين الى العلب والأكياس وقالت بفزع:

ـ آمل ان يسمحوا لنا بالمرور عبر الحدود ومعنا هذه المشتريات.

ـ كوني هادئة واخبريهم ان لديك الكثير من الأطفال. واذا أطالوا المشاحنة انفجري باكية، فهذه طريقة ناجحة. اياك ان تكوني وقحة.

كان يوماً سعيداً فقد اجتازتا الحدود بلا متاعب، حتى ان حرس الحدود

عند نقاط التفتيش عبر الطريق العائد الى اكرا رحبوا بهما، وأفسحوا لهما الطريق دون تفتيش.

كان الظلام قد أرخى سدوله عندما دخلت جاكلين المنزل، بعد ان قادت ليزا الى منزلها. فتح ماتيو لها الباب حال وصولها وأردف:

ـ انني مسرور انك عدت فالطرقات خطرة اذا حل الظلام. هل واجهت أية صعاب؟

ـ لا كل شيء على ما يرام. هل كويسي هنا؟ لدي بعض الأغراض في السيارة.

علت وجهه مسحة من الدهشة وعدم التصديق. وبسرعة حمل أول صندوق لينقله الى الداخل، ثم قال:

ـ ان كويسي ليس على ما يرام. لديه صداع شديد لهذا طلبت منه ان ينام في منزله.

حمل صندوقاً آخر وتبعته الى المطبخ.

ـ يبدو انك اشتريت ما يحلو لك.

ـ ليست لومه عاصمة، ولكن مخازنها مليئة بأشياء جديدة.

ـ نعم، (قطب جبينه)، أعلم هذا لكنني أرسلتك لشراء قطع التبديل، وآمل ان تكوني قد أحضرتها، فورق المحارم والفطر ليست هي الهدف.

شعرت بخيبة أملها تزحف بداخلها وقالت:

ـ قطع التبديل في السيارة.

ثم ذهبت لاحضارها، وسلمته الفاتورة واللائحة والوصل. فقال:

ـ سنتحقق منها الآن كيلا نقلق عليها.

حاولت ان تبدو هادئة، ولكنها أدارت ظهرها وعضت شفتها. ساد صمت مطبق. وعندما نظرت اليه، رأته يتأملها بعينين سوداوين ونظرات مبهمة.

ـ آسف سنترك الأمر للغد فأنت مرهقة. سأعد لك طعاماً. اجلسي وسأحضر بقية الأغراض من السيارة.

ـ سآخذ دوشاً لأنني لا أتحمل نفسي هكذا.

وعندما عادت الى المطبخ. كان ماتيو يحضر البيض وقال:

- ما هذه المأكولات يجب ان تخفيها كيلا أشاركك اياها.
- ولكن الأغراض لكلينا. ألسنا نستعمل مطبخاً واحداً؟
- أجل. كم سادفع لك؟

أعد لها عشاء فاخراً من البيض والجبن. وهيأ لها شراباً مثلجاً. كانت شديدة التعب، فنهض ماتيو وأمسك بيديها ليقودها لغرفتها... رأت ضحكة في عينيه. ولم تستطع مقاومتها.

- انها نقطة ضعفي الوحيدة.

ضحك عالياً، وهو يمسك يديها، وسحبها اليه ناظراً في عينيها:

- انه لمن الأجدر ان نتناول دائماً عشاء فاخراً معاً بدل من ان نتشاجر.

وتابع بصوت منخفض:

- انك لذيذة جداً هذه الأمسية.

أصبح وجهه قريباً منها، والتقت عيناه بعينيها، لم تتحرك، لم تستطع ان تتحرك. وببطء انحنى عليها وعانقها بدفء. وقفت بين ذراعيه بدون حراك، وسرى فيها دفء لم تألفه. ثم التصقت به اكثر وطوقت عنقه بذراعيها. وبدا الانسجام واضحاً بينهما.

كان رأسها يدور. داهمها شعور وتساؤلات... ان هذا جنون. ماذا حدث لي... لماذا يفعل هذا؟ لم تستجب لأحد من قبل هكذا، ويجب الا تستجيب له ايضاً. حركت رأسها ودفنته في صدره... غلبتها مشاعرها، وأحست بضعفها، وقفا هكذا ساكنين لمدة وبدأ يشدها بقوة اليه. ثم أخلى سبيلها وهو يبتسم. لم تنظر اليه خوفاً من أن يدرك اضطرابها، ولكنه أجبرها ان تنظر في عينيه:

- يجب ان ننهي خصامنا على هذا النحو أليس كذلك؟

حدّقت به وكأن الكلمات خذلتها...

ضحكت وهي تحاول ان تستجمع حواسها. نظر في عينيها، وتمنى لها ليلة سعيدة. وعندما دخلت غرفتها اخذت تتساءل هل كان ماتيو يعانقها فعلا؟ ماتيو الرجل الذي ينفجر غاضباً في وجهها ويحتقرها، الرجل الذي يثير غيظها على الدوام. لقد عانقها فقط. فكرت في ذلك مضطربة. لكنها لم تكن طبيعية. لا تعلم السبب ولا تستطيع ان تشرح ما حدث.

فاحساسها أملى عليها ذلك... لا تزال تشعر بذلك الدفء الغريب يسري في اعماقها. كفاك أحلاماً... اذهبي الى السرير ليصحو رأسك. انه سرور الليلة تمتعي بذلك قبل فوات الأوان. لم يدم ذلك طويلاً. فقد أتى ماتيو الى مكتبها صباح اليوم التالي يرتجف غضباً. ورمى على مكتبها أوراقاً، وحدّق بها ونظرات الشرر تتطاير من عينيه:

- انظري لعل هذا يفسر بعض الأشياء.

٤ - اتركي الأمر للأقدار

ألقت جاكلين نظرة على الأوراق ، فوجدت أنها ملخص لسيرة أعمالها ، وأوراق المقابلة التي جرت بينها ، وبين السيد كريستوفر في نيويورك . استغرق وصول الأوراق الى أكرا أكثر من شهرين . نظرت جاكلين الى عيني ماتيو المحملقتين فيها وسألته :

- ماذا يوضح هذا ؟
- هذا يفسر تلاؤمك العجيب ، وتأقلمك البسيط ، وثقافتك الحضارية ، ثلاث سنوات في غانا ، وسنتان في تركيا ، واثنتان في سويسرا . أظن ان لغتك الفرنسية جيدة .
- على الأقل لست فتاة شقراء ساذجة .
- لماذا لم تخبريني بذلك ؟ لماذا ؟

- لأنك لم تتح لي مجالاً للكلام . كما قد تذكر كنت الذي يتكلم دوماً .
- كان علي أن اخمّن ذلك . لكنني لم أفعل . كنت مغفلاً . اعتقد انك مسرورة لهذا الانتصار .

ثم خرج من الغرفة صافعاً الباب وراءه . لم تشعر جاكلين بلذة انتصارها ، فقد كانت منكمشة على نفسها ، لأن الصدام بينهما يسيطر عليها . انها تستطيع القيام بعملها ، ولكنها هل تستطيع الاستمرار في هذا الجو المشحون يومياً بالاضطراب والتوتر الدائمين بينها وبين ماتيو ؟

عملت جاكلين بجهد كبير طوال اليوم كيلا يسرح خاطرها . كان عليها أن توقّع وترسل أكوام التقارير المكدسة على مكتبها . اصبحت على علم بمختلف المشاريع ، من التقارير التي قرأتها ، والأحاديث التي دارت بينها وبين ماتيو ، وزياراتها للمشاريع معه .

من الممتع حقاً أن تعلم الحقائق المخفية خلف الأرقام ، والأوراق التي تدونها يومياً .

عاد ماتيو الى مكتبها ظهراً يتصرف باتزان رجال الأعمال وقال :

- نسيت أن أخبرك : لدينا ضيف شاب على الغداء من شركة التطوير الدولية . قدم لنا عدة خدمات . هل ستكونين جاهزة خلال عشر دقائق ؟
- اجل . قاربت على الانتهاء .
- حسناً اخبريني متى انتهيت .

وصلا المنزل ، فوجدا الضيف في انتظارهما .

- جاكلين هذا هو ديفيد غوردون وهذه جاكلين دونلي مساعدتي الادارية .

لم تصدق جاكلين عينيها . هل هذا الرجل الأشقر الطويل هو ديفيد ، المتطوع في رابطة السلام ، النحيل الجائع الذي اعتاد أن يلتهم طعام والدتها كلما عاد من قريته ماراً بأكرا . لقد كبر وغدا رجلاً . ما زالت عيناه الزرقاوان تنظران اليها بدهشة وسرور واضحين .

- جاكي . شدّها اليه معانقاً بطريقة ودية . ماذا تفعلين هنا ؟
- أعمل مع ماتيو . . . كم سررت برؤياك .

سألها وما زالت يداه على كتفيها :

ـ أين والديك ؟ هنا ؟

ـ لا ، في الولايات المتحدة . . . أتيت الى هنا وحدي . لقد أصبحـ[ت] كبيرة كما ترى .

كشر فمه ضاحكاً وقال :

ـ نعم هذا ما ألمسه .

لمست جاكلين نظرات ضاحكة في عيني ماتيو وهو يراقبها ، فاحمر[ت] خجلاً ، هل يسخر منها ؟

قال ديفيد محاولاً أن يشرك ماتيو في محادثتهما :

ـ كنت امضي معظم وقتي مع عائلة جاكلين عندما كنت متطوعاً . انقذتني والدتها من الموت جوعاً . كنت أعمل في منطقة الفولتا ، وكلـ[ما] سنحت لي الفرصة أتيت الى اكرا لدعم معنوياتي ، وللتحصين الطعامي .

أجابه ماتيو :

ـ اظن انك كنت بحاجة الى ذلك .

احضر كويسي الطعام ، فجلسوا الى المائدة . كانت جاكلين فرحة لأنها لم تتناول الغداء وحدها معه بعد وصول الأوراق ، لم تتكلم كثيراً متيحة الفرصة للتحدث عن العمل .

كانت فرحتها بوصول ديفيد مضحكة للغاية ، لأنها اعتادت زيارته لهم وهي في السابعة عشر من عمرها . كانا يقومان معاً بمباريات في معظم الألعاب . كم أنصتت له وهو يتحدث مع والدها عن انتاج الذرة ، والصيد ، والوضع السياسي . كانت معجبة بقوته لتحمله الصعاب كمتطوع . وكلما حدثها عن الناس الذين يعيشون في القرية الفقيرة القذرة ، كلما مس شغاف قلبها . اصطحبها عدة مرات الى أماكن ليلية راقية لسماع فرقة موسيقية شهيرة ، تحت قبة السماء ، وظلال أشجار جوز الهند . لم يشغل أبداً مشاعرها نحوه ، وكم تساءلت إن كان يشعر انها بدأت تحبه . لم تكن عاطفتها تجاهه صادقة ، وما إن عادت الى الولايات المتحدة ، وانغمرت في حياتها الجامعية ، حتى نسيته تماماً وبسرعة . دارت عجلة الزمن ، ست سنوات مضت ، وها هو ديفيد يعود الآن أكثر جاذبية

متخلياً عن نظرات الجالسين . لكن قميصه المطبع على الطريقة الأفريقية ، اكد لها أن ذوقه لم يتغير . من المؤكد انه لا يرتدي هذه الثياب للعمل ، لكنه قد يفعل تطبيقاً لمبدئه : الخروج عن المألوف أحسن شيء في هذه الحياة .

قرب ماتيو صحن الطعام الى جاكلين ، فتلاقت نظراتهما عبر المائدة وقال :

ـ اتساءل فيم تحلمين ؟

احست جاكلين بتوهج وجهها ، وبدا ارتباكها واضحاً اذ حدّق ماتيو في وجهها بحقد . ثم دفع كرسيه الى الخلف ، ونهض ليتولى امر القهوة . ولما توارى عن الأنظار قال ديفيد :

ـ اشعر بوجود توتر سيء بينكما . انا لا اتطفل يا جاكلين ولكنني اريد ان اعرف .

ـ اذن اسألني .

ـ هل انت مرتبطة أم حرة . . . هل ترغبين بالخروج معي مساء غد ؟

ذهبا معاً الى مطعم بالم كورت ، مطعم صيني جديد ، وجميل يقع على الشاطىء . لم تتذوق طعاماً أشهى منه . ولمن المدهش حقاً أن تكون في قلب أفريقيا ، وتجلس في مكان على الطراز الصيني ، وتأكل طعاماً شرقياً شهياً . . .

تأنق ديفيد لهذه الأمسية ، فارتدى سترة مبطنة ، وقميصاً مفتوح القبة كالسترة ، وكما يلبس ماتيو عادة . ضحكت جاكلين في وجه ديفيد معربة عن سرورها وامتنانها ، بينما حدّق فيها بعينين ضاحكتين وقال :

ـ لا زلت كما عهدتك .

ـ نعم فتاة في الثامنة عشر من عمرها ، خريجة جديدة .

ـ وما المانع في أن تظهري كفتاة مدللة ؟

ـ عندئذ لن يستخدمني أحد لهذا النوع من العمل . ومع انني جدية كثيراً كما ترى ، لم يصدقني أحد .

ـ ولكنك حصلت على عمل جيد في هذه الشركة . فهي ذائعة الصيت .

- هل تعلم اني لاقيت صعوبات جمة حتى حصلت على هذا العمل ؟ لقد خذلت عدة مرات ، واؤكد لك ان هذا ليس لنقص في مؤهلاتي . . . لا صدقني . . . ولكن لظنهم اني شقراء غبية . ولم تساعدني مؤهلاتي على محو ذلك الانطباع .

- انه عيب كبير أن تكوني شقراء جميلة .

- كفى يا ديفيد . . . حتى أنت لا تعاملني بطريقة جدية . . . إن هذه هي مشكلتي .

- آسف لازعاجك . . . اخبريني عن والديك وما يفعلان ؟

يا له من موضوع سهل للمناقشة . فكرت جاكلين وهي تصب الشاي :

- انهما في الوطن الآن ، اشتريا بيتاً في مين وسيمضيان فيه قرابة عامين فوالدي يؤلف كتاباً عن التطور ، ومتى انتهى منه ، سيذهبان ثانية عبر البحار .

- وما الذي جعلك تأتين الى غانا ؟

- كنت دائماً أرغب بالعودة الى غانا لأعمل . . . انني احب هذه البلاد .

شعرت جاكلين بالاضطراب لأنه لم يكن من السهل عليها أن تتكلم عن مشاعرها . فقد اساء فهمها كثير من الناس ، وظنها بعضهم انها فتاة مثالية خيالية .

- حسناً . . . تعلم اني عشت حياة رغيدة ، حصلت فيها على كل ما اريد بل اكثر ، ولكنني كنت اشعر بعدم الرضى عن هذا . كنت احاسب نفسي ، لهذا لم اتمتع بكل ما قدم لي ، بينما يعاني الكثيرون بطريقة او بأخرى . لهذا أردت أن اعمل شيئاً .

- ادرك ذلك ، اذن اتيت الى افريقيا لترضي ضميرك ، وتخدمي الفقراء ، بدلاً من أن ترسلي بضع دولارات الى جمعية العميان .

- كيف تجرؤ يا ديفيد على قول هذا ؟

- اذاً هذا ليس قصدك ؟

- ظننتك تعرفني تماماً .

- لا . . . كنت صغيرة في السادسة عشر من عمرك عندما كنت القاك ، لطيفة ، مرحة ، وحالمة .

لم تقل جاكلين شيئاً ، اذن هو على حق ، فقد تغيرت أفكارها خلال تلك السنوات الست التي لم تعد تجتمع به .

أردف ديفيد :

- انظري الي يا جاكي .

نظرت الى عينيه الزرقاوين الصافيتين فقال :

- أردت أن أعرف الدوافع التي قادتك الى هنا . ولكنني اخطأت طرح الموضوع ، وأريد منك الا ترتكبي الخطأ نفسه الذي ارتكبت ، لا تكوني متطوعة .

بدا ديفيد حزيناً ، تذكرت جاكلين حماسه عندما كان يكافح لوضع المشاريع للقرية ، وما أصابه من خيبة أمل ، وغضب فعلقت قائلة :

- لقد تحررت من الوهم .

- لقد عانيت خلال مدة عامين عندما عدت الى الولايات المتحدة ، حتى تمالكت نفسي من جديد .

- وأراك امامي الآن .

- ولكنني تعلمت درساً لن أنساه ، انظر الى الأمور بموضوعية ، وبهدوء على الدوام دون أي نظرة عاطفية .

- تبدو ساخراً الآن ، لا بد أن هناك حلاً وسطاً .

- أريد أن اكون عملياً وعاقلاً ، وأريد أن تكوني كذلك .

- إن عملي لا يستوجب اي تورط عاطفي .

- انه غاية في الجد . . . تعالي نتمشى على الشاطىء .

خلعا احذيتهما ، ومشيا على الشاطىء حفاة على الرمل القاسي الرطب . تطايرت تنورة جاكلين الطويلة حول كواحلها ، فشعرت بحريتها وسعادتها دون مراقبة ما .

هتفت جاكلين في اعماقها : اني دائماً مراقبة ، افكر بماتيو وماذا سيظن ، وماذا سيقول ، وكيف سيتصرف . . . لا . . . لا تريد ان تفكر به الآن .

لم تسمع الا أصوات الأمواج المزمجرة ، الزاحفة نحو الشاطئ
المتلاشية عند أقدامها . كان زبد البحر يتلألأ بشكل رائع تحت ضوء
القمر ، شعرت جاكلين بضآلتها أمام خضم مياه المحيط ، والنجوم
المتلألئة في قبة السماء .

تابعا سيرهما متشابكي الأيدي ، يتمتعان بهذا الجو الساحر . وفي
رمى ديفيد حذاءه على الرمال ، ووقف يحدق في وجهها . توقفت هادئة
ونظرت في عينيه فقال : « انني شاعري للغاية » . شدها نحوه بر
فاقتربت منه بدورها .

وبعد منتصف الليل ، قادها الى منزلها فقالت :

- اشكرك يا ديفيد . كانت سهرة رائعة .

- ولي أيضاً ، ثم مال نحوها وقال : سنسهر معاً قريباً ، ولكن لا تنس
ثياب السباحة .

استلقت على سريرها تفكر بديفيد وبنزهتهما على الشاطئ . ماذا قال
بعد أن عانقها « ان هذا لذيذ » ، نعم كان ذلك لطيفاً . ولكن . . . لا
يكفي . هناك شيء مفقود . انها الشرارة الكهربائية . ادارت نفسها وهي
تقرب الغطاء منها . هل ترغب في شيء خيالي . شيء لا يوجد الا في
القصص العاطفية . انها على يقين من ذلك . على الرغم من انها عاشت
تلك اللحظات ، ومنذ أمد قريب عندما عانقها ماتيو عقب عودتها ذات
المساء متمنياً لها ليلة سعيدة ، فسرت شرارة كهربائية في اوصالها ، مع انه لم
يكن من الأشخاص المفضلين لديها .

انها تريد أن تحب شخصاً مجنوناً ، انساناً يفقدها اتزانها ، ويحرك
سكونها من الأعماق ، ويسارع من نبضات قلبها .

تنهدت وهي تنظر الى السقف . . . لا يوجد هذا النوع من الرجال ،
ولا يوجد في الحقيقة هذا الحب الذي يتضمن كل ما تطلبه ، والذي يرضي
أحلام الفتيات . همست لنفسها وهي تشعر بالحزن والخسارة ، « ما زلت
طفلة يا جاكي » ، ثم ما لبث الكرى أن داعب عينيها .

لم تفتقر جاكلين لصديق . فمن السهل جداً لفتاة تعيش وحيدة ، أن
يحوم حولها شبان كثيرون متحمسون في مدينة كاكرا يدعونها الى العشاء

والمراقص . ولكنها فضّلت ان تمضي معظم أوقات فراغها بصحبة ديفيد
حيث استمتعا بالسباحة والرقص ، ومشاهدة الأفلام . لم يدعا فيلماً من
الأفلام المعروضة في المدينة إلاّ وشاهداه . كانت جاكلين تستمتع باوقاتها
مع ديفيد ، ولكنها في كل مرة تكتشف التغيير الذي طرأ على شخصيته .
لقد اختفى حماسه الذي كان جزءاً منه ، ويؤلمها أن يتكلم بسخرية وتشاؤم
عن المشاريع التي يعمل بها عندما يسأل عنها . لم توافق على هذا ولكنها لا
تستطيع ان تغير هذه السلبية . كانت جاكلين تقبل دعوة غيره من الشبان
بين آونة وأخرى ، ولكنها سرعان ما تتعرض لبعض المضايقات التي لا
ترضى عنها . وفي احدى الليالي تعرضت لازعاج كبير ، فاضطرت ان تحد
من تصرفات شخص خرجت معه . وما ان وصلت الى المنزل حتى كادت
تنفجر .

التقت بماتيو مصادفة ، وهي في طريقها الى المطبخ لتأخذ كأساً من الماء
البارد وما زالت في أوج غضبها . جذبها من يدها فانفجرت مزمجرة :

- لماذا هذا الانفعال . هل انت مجنون ؟

- نعم . بالتأكيد .

- ماذا فعلت لك الآن .

اجابها والدهشة تملأ عينيه ، وهو ينظر باحتقار اليها :

- لا شيء هذه المرة . انني مجنون من الشخص الذي خرجت معه . الى
الى المكتب لزيارتك الأسبوع الماضي .

اخذت زجاجة الماء من الثلاجة ، وصبت لنفسها كأساً . عبس ماتيو
وهو يقول :

- هذا الفتى الذي لا يستطيع كبح جماح نفسه .

- انا لا اعلم شيئاً بهذا الخصوص . ولكني اعلم أن أفكاره عن المرأة
الغربية غريبة جداً .

- ألم تسهلي له المهمة ؟

تابع كلامه ، وهو ينظر اليها بازدراء من رأسها الى اخمص قدميها ببطء
وتكاسل . فعضت جاكلين على أسنانها غاضبة .

- هل لي أن اسألك ما قصدك ؟

اجابها :

ـ انظري الى هذا الثوب الذي ترتدين .

نظرت الى ثوبها البنفسجي ، والأزرق الطويل المتدلي الى الأرض . كان ثوباً جميلاً ملائماً لها ، ولكنها لم تدرك على الاطلاق ما قصده ماتيو .

ـ وماذا عن ثوبي ؟

ـ انك لا تتركين شيئاً للتخيل . اليس كذلك ؟

ـ انني مغطاة من رأسي الى أخمص قدمي كما ترى .

ـ لا فرق في هذا .

ـ وما عليّ أن أفعل اذن ؟ هل ألف خيمة حولي ، وأدعي اني أزن مئتي رطل ؟

ـ تعالي الآن ، أخذ كأس الماء من يدها ، لا تغضبي مني . انني واثق كل الثقة انك تتمكنين من المشاجرة ، ولكنني أرى انه يكفيك التشاجر مع شخص واحد في الليلة الواحدة . وضع كأس الماء في الحوض وتابع كلامه ، من الأفضل لمن له حياة اجتماعية حافلة مثلك ، أن يحتفظ بقوته .

غلى الغضب في عروقها ، وهي تنظر الى وجهه الساخر ، ومنكبيه العريضين . قرأت في عينيه أنه يتوقعها أن تثور في وجهه . حسناً لن تفعل لا تدري من أين جاءتها القوة وطول البال ، حتى سيطرت على أعصابها ، وابتسمت في وجهه قائلة :

ـ انك محق يا ماتيو. ليلة سعيدة . ثم خرجت من المطبخ دون أن تنظر اليه .

« اتمنى لو استأجر شقة في مكان آخر » . همهمت وهي تخلع حذاءها . تستطيع على الأقل أن تعود ليلاً الى مطبخها ، فتأكل ما شاءت بدون أن تلتقي به . إنها برفقته طوال النهار . ولكن من المؤكد انها لن تعثر على سكن ، وتحب ضمناً هذا المكان : انه صغير ، ومريح ، وأنيق بستائره البراقة ، ووسائده والأضواء التي احضرتها من وطنها . اعطتها ليزا سجادة صغيرة ليست بحاجة لها ، فبدت جميلة على الأرض الخشبية ، احبت المفروشات البسيطة التي صنعها لها أحد النجارين في طرف الشارع .

خلعت ملابسها ، وهي تتنهد . لم تمض سوى عدة اشهر ، حتى أصبحت مرتبطة عاطفياً بمنزلها . كم تشعر بمتعة عندما تجلس على الشرفة تقرأ او تكتب ، أو تراقب التماسيح الصغيرة وهي تسابق بعضها بعضاً . أو تراقب البستاني وهو يشذب الحديقة بعد عودته من قريته . كان فخوراً بعمله . وكثيراً ما كان يحضر ابنته معه ، كي تلعب مع ابنة كوبسي . كم تستمتع بمراقبتهما ، وهما تطاردان دجاجات كوبسي ، فتضحكان وتصرخان .

وقفت جاكلين تحت الدش تفكر . لماذا لا تترك العمل . . . وتخبر جينكنز انها أحبت العمل ، ولكنها لا تحتمل الرئيس . سيسر ماتيو جداً بهذا . انها واثقة من ذلك . خرجت من الحمام ونشفت جسمها . لم تكن العودة الى الوطن حلاً جذرياً لهذه المشكلة ، لأنها لا ترغب في ترك عملها . انها تحب غانا وتحب عملها . ولكنها لا تتحمل ماتيو سيمونز .

انهمكت جاكلين كثيراً في عملها ، حتى انها لم تنتبه لدخول ماتيو الى المكتب . نظرت اليه مندهشة عندما رأته يقف امامها قائلاً :

ـ يجب أن نذهب الآن لنصل الحفل في الساعة السادسة .

ـ وأي حفل هذا ؟

لم تسمع عن الحفل ، ولا تريد الذهاب اليه . . .

ـ لم أسمع شيئاً عن هذا الحفل ولا أريد الذهاب . لم أتلق دعوة .

ـ لا داعي . . . ستذهبين في كل حال . . . هلمي .

انه يريد أن يملي عليها تصرفاتها حتى في أوقات فراغها . الا يكفي انها تعمل معه معظم نهارها ، وتشاركه المنزل نفسه ، وتأكل معه وجبات الطعام ، لترافقه ايضاً إلى الأماكن الاجتماعية . انفجرت شرارة التمرد في داخلها .

ـ لن اذهب .

ـ لن تذهبي ! هل لي ان اعرف السبب ؟

ـ لقد اخبرتك ، لم أتلق دعوة . وأشعر باني سأصاب بصداع شديد هذه الليلة . انه الم الشقيقة .

اقترب منها اكثر ، وانصبت عيناه في عينيها وقال :

- مندهشين . لن استطيع أن اقنعك بشكل افضل يا صغيرتي . . . يجب ان تلهي لأن الحفل يتعلق بالعمل .

داهمها شعور مفاجيء من اللامبالاة وقالت :

- هل اذهب لارضائك ؟ وهل ستطردني من العمل ان لم أحقق رغبتك هذه ؟

نصب قامته ، ووضع يديه في جيوبه ، حملق لمدة طويلة بها وقال ببطء :

- ليس في نيتي ذلك .

- مفاجأة . الا تريد فصلي من العمل ، كنت اعتقد انك تتوق لذلك .

- ليس من عادتي أن افصل الموظفين الذين يقومون بواجبهم على اكمل وجه .

لم يكن يجاملها ، بل يخبرها الحقيقة الواضحة ، فهي واثقة من قدرتها على العمل . لم تستطع أن تتجاهل سؤالاً راود مخيلتها فقالت :

- حتى ولو كان الموظف امرأة .

كان وجهه قاسياً وصلباً ، ولكنها لم تتجنّب نظراته .

- تريدين تذكيري بما مضى . أليس كذلك ؟ اذن دعيني اخبرك يا صغيرتي انني اهتم بالعقل والكفاءة ، والقدرة على التحمل ، وليس الشكل ، لن اهتم ولو كنت ديناصور (حيوان ضخم من الزواحف المنقرضة) إن كل ما يهمني هو تنفيذ عملي باتقان .

أضحكها انفعاله هذا . ولكنها خشيت من ذلك ، فأجابته متهكمة :

- كم تلهفت لسماع علائم اطرائك لي ، فهو يجعلني ناعمة كالزبدة .

التقت عيونهما للحظة ، ولم يتفوها بكلمة . ثم مشى ماتيو نحو الباب وقال :

- اني ذاهب الى المنزل الآن . آمل أن تكوني جاهزة الساعة السادسة الا عشر دقائق .

قرع ماتيو باب غرفتها ، وكانت غير مستعدة بعد . قالت لنفسها ، لينتظر ، متجاهلة قرع الباب . ليس عليها الآ أن تضع أقراطها ، وترتدي ثوبها الطويل ، وتنتعل حذاءها . وبعد لحظة فتح الباب اكثر ، ورأت

ماتيو يقف امامها أنيقاً . نظر اليها وكأنه يقيّمها :

- حسناً . لن تنتهي امرأة في الموعد المحدد . أليس هذا صحيحاً ؟

لم تستطع أن تبقى هادئة ، وهي تتلقى نظراته المتفحصة . لكنها لم تطلب منه أن يغادر الغرفة كيلا يضحك منها . فهي لا تريد أن ترضيه . حاولت أن تضع أحد أقراطها وهي تتجاهله . ومن شدة ارتباكها سقط برغي القرط في المغسلة ، فأسرعت بالتقاطه ، وحاولت أن تعيده الى اذنها ولكن عبثاً . فسألها :

- هل ازعجك .

- لا .

ضحك عالياً لأن صوتها دل على انزعاجها . كتف يديه ، وأسند ظهره الى الباب وقال :

- لو كنت تؤمنين بالفضيلة ، لما سمحت لرجل أن يدخل ، الى غرفتك .

- في الحقيقة انني مستمتعة بهذا .

بدل وقفته ولكنه لم يذهب خارج الغرفة . ارتعشت اصابعها كثيراً ، واحمرت اذنها ، ولم تستطع ادخال القرط في اذنيها . فقال لها ماتيو :

- دعيني اساعدك . ووضع يده على كتفها ، فهربت منه قائلة :

- اخرج من هنا .

- ليس الآن . تبدين اكثر جاذبية ، وأنت هكذا ، امسك بكتفيها ، انك ترتجفين ، لا تقلقي ليس في نيتي ارتكاب جريمة . . .

جذبها اليه كانت تريد أن تقاومه ، ولكنها لم تستطع ، فقد كان أقوى منها . كان عناقه قوياً . احست بيديه القويتين الدافئتين على ظهرها . استكانت بين ذراعيه وعانقته بدورها .

لا . يجب الآ استسلم له كلما شاء أن يلمسني . . . يجب أن اقاومه . . . كان هذا ما يدور في عقلها ، وهي ما زالت بين ذراعيه .

داعبت يداه ظهرها ، ثم تخللت اصابعه في شعرها ، حتى انسدل على كتفيها . قبل عينيها المغلقتين ، فاختلج قلبها كطائر . لم تعد تفكر في شيء . كانت قدماها ترتعشان عندما تركها ، فابتسم في وجهها بضحكة

عريضة وقال :

- ارى اننا نستطيع الانسجام بلا عصير وعشاء فاخر . ما رأيك ؟

- اتركني وحدي . اخرج من هنا .

- حاضر يا سيدتي .

رأته بالمرآة كان يعض شفته ، والابتسامة تلوح في عينيه . خرج وأغلق الباب وراءه .

جلست جاكلين على حافة السرير ترتجف . لماذا فعل هذا ؟ هل لاحظ تأثيره فيها ؟ هل فعل هذا ليشعرها انه رئيسها مهما كانت الظروف والأماكن ؟ وقفت وحاولت أن تعيد تصفيف شعرها بيديها المرتجفتين . ثبتت الأقراط في اذنيها ، ثم ذهبت لتكمل زينتها . نظرت الى نفسها في المرآة راضية .

لم يتفوه احدهما بكلمة حتى وصلا الى منزل جورج جيتسونز كان الحفل في الحديقة التي انيرت بالكهرباء ، تحت قبة السماء ، وظلال أشجار المانغا والنخيل . التف الناس في حلقات يتسامرون . عرفها ماتيو على الجميع . ولكنها حاولت جاهدة أن تحفظ اسماء الدبلوماسيين ، ورجال الأعمال من اهل غانا وأمريكا . ثم تركها لشأنها ، فسرت كثيراً وهي تتحدث الى السيد فوردور من رجال اعمال غانا . زار السيد فوردور أوربا والشرق الأوسط ، وقص عليها الكثير من مغامراته الشيقة التي تراكمت بسبب أسفاره . وعندما انتقلت الى جهة اخرى ، قابلت أناساً ممتعين ، كانت ترى ماتيو بين الفينة والأخرى ، وهو يتكلم مع أصدقائه ، واضعاً يده في جيبه ، ويمسك بالأخرى كأساً من الشراب . كان يبدو جدياً معظم الوقت . لم يأت للتسلية ، بل لينتهز الفرصة كي يناقش امور العمل . تمنت جاكلين الا تعيره اهتماماً . فقد كانت تراقب كل حركاته ، أين كان ، ومع من تكلم ، ها قد تحرك من مكانه ، وكيف تحرك . وعندما وجدته وحيداً للحظة ، أخذت تحدق به . وفجأة وكأنه شعر بنظراتها فنظر اليها . التقت عيناهما فضحك لها . وبالطبع اشاحت بوجهها عنه لتتجاهله . ولم تبادله الابتسامة . وبعد لحظة سمعته يهمس قربها :

- ما زلت حانقة علي ؟

اذن ، لقد لاحظ انها تجاهلته . هل يريدها أن تتغاضى عن تصرفاته كأن شيئاً لم يكن . اجل انها حانقة ، وستبقى كذلك . نظرت اليه ببرود صقيعي . فقال لها :

- لم ادخل غرفتك لهدف ما . انت التي طلبت أن افعل .

- انا . انا طلبت منك ذلك وأنت بالذات ؟

- لم تقولي ذلك ولكن كان مظهرك مثيراً . وكان عليك أن تدركي ذلك جيداً .

أطبقت أسنانها بحدة وغضب .

- كنت في غرفتي الخاصة ولم اطلب منك الدخول .

- ولكنك لم تعترضي على دخولي الا عندما اقتربت منك .

لم يكن لديها ما تقول ، فضحك من غضبها الساطع . أمسك بذراعها وقال :

- تعالي نأخذ كأساً من العصير لعله يزيل حدة توترك ، ثم تنهد ثاقلاً واضاف ، لماذا تصنعين من الحبة قبة يا جاكي . أين اختفت روحك المرحة ؟ تتصرفين وكأنني آذيتك . وكما اذكر لم تحاولي مقاومتي .

لان وجهها قليلاً وقالت :

- لست على حق في أن تدخل الى غرفتي هكذا .

نظر اليها بهدوء دون أن تستطيع قراءة عينيه وقال :

- حسناً اني اعتذر .

حملقت به مندهشة ، لم تفهم شيئاً من وجهه ، ولم تسعفها الكلمات فأردف :

- حسناً هل تريدين عصيراً الآن ؟

- نعم من فضلك عصير الليمون .

غاب ماتيو وسط الجموع . لم تصدق اذنيها ، هل حقاً اعتذر منها . لا لا تصدق . . . إن ماتيو لا يعتذر مهما كانت الظروف . دوى صدى كلماته في مسامعها ، فشعرت أن الموضوع قد انتهى طالما انه اعرب عن اعتذاره . وبعد ان فكرت باعتذاره ، أدركت انه نوع مختلف من الرجال . ومع انه اعتذر ، لكنه المنتصر دوماً .

عاد ماتيو بالعصير ، ثم تكلما مع بعض الناس ، وبعد ذلك ز[illegible]
وشأنها ، وذهب ليتكلم مع شخص آخر . وخلال تجوالها التقت جاك[illegible]
بديفيد وجهاً لوجه . وضع يده على كتفها مرحباً :

- لم اكن اعرف انك موجودة .

- لا لم يكن متوقعاً أن آتي ، اتيت بأمر من رئيسي .

- لا تدعي السفير يسمع ذلك . فقد ينفيك من هنا . دعيني أعر[illegible]
على بعض الأشخاص .

صافحت جاكلين الكثيرين ومن بينهم استاذ جامعة من هولند[illegible]
وجراح من غانا ، وصاحب مكتبة من لندن . عاد ماتيو ليصطحبها [illegible]
عودتها للمنزل وفي السيارة قال لها :

- لقد استمتعت بهذه الأمسية . أليس كذلك ؟

- اجل . اني لا احب تذمر السيدات من الخدم ، وعدم توفر جميع انوا[illegible]
الأطعمة الخ . . . فمن لا تتكيف مع العيش هنا ، عليها أن تعود [illegible]
بلادها .

اجابها بجمود :

- هذا صحيح .

شعرت جاكلين انها اساءت اليه ، فقد يظن انها تقصد دايانا التي عادت
الى وطنها لأنها لم تحب غانا . إن تعليقها غير لائق وهي تأسف لذلك .

- آسفة . لم أقصد ان أقوّم تصرفات الآخرين .

ابتسم بفتور وقال :

- لا بأس . انك على حق كما تعلمين .

قاد السيارة ببطء عند المنعطف ، ثم نظر اليها وقال :

- هل تتذكرين الرجل ذا الثوب الأزرق الطويل السيد مينلا ؟ تذكرت
الثوب . فقد كان مطرزاً مما يشير الى ان صاحبه من شمال المدينة .

- اجل تقصد الشاب الذي عاد من كانساس يحمل شهادة دكتوراه [illegible]
العلوم الزراعية .

- نعم . انه هو . اخبرني انه ابن أحد الأعيان في الشمال ، داس ماتي[illegible]
الفرملة كيلا يصطدم بسيارة اجرة ظهرت فجأة ثم تابع . لقد زارني [illegible]

مكتبي منذ عدة اسابيع ولم تكوني موجودة حينئذ . اخبرني أنه يهتم بمشروع
يتعلق بفول الصويا في قرية والده ، وبناء على معطياته ، أرى أن ندرس
المشروع . يريد مني أن أذهب الى القرية وأقنع اباه والأعيان في القرية
بآرائه . وقد كرر الدعوة هذا المساء . قررت أن ألقي نظرة هناك . اعتقد
ان الشاب متحمس للمشروع ، احساسي انه سيقوم بعمل جيد .

فسألته جاكلين :

- وهل ستقطع كل تلك المسافة لتلقي نظرة ؟

- نستطيع ان نقوم ببعض الأعمال في طريق العودة ، استقرت نظراته
عليها وسألها ، ما رأيك لو تذهب معاً ؟

- لماذا ؟

- يستطيع ستيفن أن يتكفل بأمور الماعز في الأسابيع القليلة المقبلة .
اعتقد انه بامكانك مساعدتي هناك . ستدونين ملاحظاتك ، وتكتبين
تقريراً عما ستجده هناك . واذا كانت جديرة بالاهتمام . . . ستعدين بحثاً
دقيقاً عن معظم الحقائق والأرقام . . .

جلست هادئة تفكر بهذا الاقتراح . بدا الأمر ممتعاً للغاية . وهذا يعني
انها ستهتم اكثر بالأعمال الفعلية التابعة للشركة وهذا ما ترغب به . ولكن
ما خلفيات هذا الاهتمام ؟ هل اكتشف ماتيو ان لديها امكانات يريد
استغلالها ؟ انه صادق وايجابي في تقدير عملها .

- يسرني ان اذهب إن كان بوسعي مساعدتك .

دخل شارع منزلها ، فهرع علي عائداً من زيارة صديقه ، ليفتح لهما
البوابة .

- لن يكون الأمر سهلاً ، اجاب ماتيو وهو يفتح لها باب المنزل لتدخل ،
لا بد من بقاء السيارة معنا في القرية . لهذا لن نذهب بالطائرة الى تامال .
سنغادر في آخر الشهر ونصل الى هناك خلال يوم واحد .

- سنصل لتامال في يوم واحد ؟

- الا تستطيعين ذلك ؟

فهمت ما يعنيه من هذا السؤال فقالت :

- انا طبعاً استطيع . ولكن هل تساعدنا السيارة في هذا ، اني افكر
بمشكلة السيارة .

فتح لها الباب الخاص بها وقال ضاحكاً :
ـ اتركي امر السيارة للأقدار .

٥ـ هدنة جميلة

بعد أن تناول ماثيو وجاكلين طعام الافطار الذي اعده لهما كويسي ذو العينين المثقلتين بالنوم، انطلقا باتجاه الشمال الساعة الخامسة صباحاً، وما زال الليل مخيماً والجو بارداً.

كان كل شيء هادئاً من حولها، ولم تكن حركة المرور قد بدأت تنشط بعد. سألها:

ـ هل زرت شمال غانا قبل الآن؟

ـ أجل زرته عدة مرات مع والدي، ومرة مع صديقة لي هولندية، أتى والداها وهما طبيبان في بعثة طبية الى أفريقيا. ركبنا سيارة شاحنة، وتابعنا بقية الرحلة متطفلتين، نوقف السيارات لنركب مجاناً.

ـ أجل ان البلاد هنا آمنة اكثر من الولايات المتحدة.

- لن احلم بالتنقل هكذا في أميركا.

- بالتأكيد لأن المجتمع الافريقي متعوّق في تهذيبه.

- ان هذا أحد الأسباب التي دفعتني الى العودة الى غانا.

التفت اليها، ثم نظر أمامه قائلاً:

- انك تحبين هذه البلاد أليس كذلك؟

- نعم خاصة الشعب، فالناس هنا طيبون ومرحون، ان الافريقي[ين] فخورون كثيراً بأنفسهم ومحترمون.

مرت بهما شاحنة كتب على مؤخرتها: لا تستطيع ان تغير شيئاً من مصيرك.

ضحكت جاكلين وقالت:

- وهم فلاسفة أيضاً. انظر الى تلك الشاحنة.

أضفت الشمس البراقة حلة رائعة على الكون، ما لبث ان تحولت الى وهج متلألىء. كانت الطريق الى كوماسي مكتظة بالسيارات، ومع هذا فالسائقون يقودون سياراتهم بسرعة جنونية ويحدثون ضوضاء مروعة. كانت التلال مغطاة بغابة خضراء. سرّت جاكلين بهذه المناظر الجميلة، وتأملت القرى التي مرا بها. تناثرت أبنية صغيرة الى جانب الاكواخ التقليدية التي صنعت سقوفها من سعف النخيل.

وتحت ظلال أشجار المانغا، جلست النساء على مقاعد طويلة تحضرن الطعام، أو تطعمن صغارهن.

تناولا غداءهما في مطعم كوماسي، وغادراه بسرعة كبيرة كيلا يفوتهما وقت انطلاق المركب ياجي عبر بحيرة الفولتا.

كانت مدينة البحيرة تعج بالنشاط حتى في منتصف النهار. وتحت أشعة الشمس المحرقة، كان المركب في منتصف البحيرة ولن تستغرق عودته أكثر من ساعة. وتحت أشعة الشمس وقفت السيارات الخاصة أولا، ثم عدد كبير من السيارات الشاحنة. تمدد بعض سائقي الشاحنات تحت ناقلاتهم، اتقاء للحر الشديد بعد ان طال انتظارهم لعدة أيام.

ظهرت بعض النعاج هنا وهناك، تحوم يتبعها علها تجد مأوى من أشعة الشمس المحرقة.

تقدم ماتيو بسيارته مجتازاً سيارات الشحن، متفادياً الاطفال والكائنات الحية الاخرى، التي كانت تتمشى بين السيارات دون وعي او ادراك.

تمشى ماتيو وجاكلين حتى وصلا طرف البحيرة، فشاهدا المركب يتهادى ببطء فوق المياه. انتشرت قوارب الصيادين المطلية بألوان براقة على الشاطئ، تنتظر ان تبدأ رحلة جديدة.

مرت بجانبهما فتاة صغيرة تحمل قرط الموز على رأسها. توقفت تحملق بهما بعينين متسعتين، وعلى وجهها نظرة باردة لا حياة فيها. التف حولها اولاد آخرون، ينظرون اليها بصمت، او يشيرون بأصابعهم وهم يقهقهون. ضحك ماتيو وقال:

- انهم يحدقون بك، وأراهن بأنهم لم يروا فتاة ذات شعر أشقر هكذا.

غمز الاولاد بعينه، فانفجروا بالضحك عالياً. وكأن غمزة العين مضحكة للغاية. أخذ ماتيو يغمز الأطفال أينما وجدهم فسألته جاكلين:

- هل يغمزك أحد بدوره؟

- أبداً. انهم يحملقون، او يضحكون، او يصيحون.

- سيظنون انك ساحر، تقوم بأشياء مجنونة بواسطة عينيك.

- وهذه غايتي.

- وهل تريد ان تعطي الناس انطباعاً خاطئاً عنك؟

اجابها وفي عينيه ابتسامة:

- وهل هذا ما افعله؟ هل اخذت انطباعاً خاطئاً؟ لست شاباً سيئاً كما ظننت في البداية، مغالياً في تحيزه، شرساً، وذا كبرياء متعال، وغير متزن وذا اخلاق سيئة الخ... الخ.

- لم اقرر بعد.

بدا على وجهه اضطراب ساخر:

- ربما لم اقنعك بعد بهذا. انني رائع فعلاً. ولكن لم تتح لي الفرصة الكاملة لاثبات ذلك.

- احب ان تثبت ما تقول.

وما ان نطقت ذلك، وادركت المعنى المزدوج لجملتها. حتى شعرت بالخجل يضرج وجنتيها. فنظر ماتيو اليها وضحك من اعماقه مما زادها

احمراراً. تلعثمت وقالت:

- لم اقصد...

أجابها وهو ما زال يضحك:

- نعم فهمت خلفيات هذه الجملة التي لم تعنيها. لسانك يزل احياناً وهذا خطر كثيراً.

الحمد لله... ها قد أتى المركب وعليهما ان يعودا الى السيارة. اتجهت جموع المشاة الى الشاطىء يحملون الحزم والسلال والاطفال. ثم اتى دور السيارات.

كان عليهما ان يسيرا ببطء كي تحمل السيارة فوق المركب وفقاً لتعليمات رجل يصرخ ويؤشر بما يفوق طاقته. تبحتهم شاحنة كتب عليها شعار: الأشياء الحلوة لا تدوم.

بدا النهار مملاً وطويلاً، وكأنه لا يود ان ينصرم. كان جسمها يؤلمها من الحر والتعب انعشها النسيم قليلاً في السيارة على الرغم من انه كان مثقلاً بالغبار والحرارة. وبعد ان حل الظلام، وأشارت الساعة الى ما بعد السادسة، وصلا الى فندق كيترنغ ريست هاوس لم يكن لدى جاكلين أية طاقة تمكنها من النهوض من مقعدها، فقد شعرت انها ملتصقة به من العرق. وجدا مكتب الاستقبال خاوياً. وبعد برهة استطاع ماثيو ان يعثر على الرجل الذي بدا نائماً، واخذ يقلب دفاتره من الأمام الى الوراء وبالعكس عدة مرات، ليعثر على اشعار الحجز الخاص بهما، نظرت جاكلين الى ماثيو، ويكاد رأسها يهوي في أية لحظة. انها بحاجة لدوش وسرير ولا شيء غير ذلك.

- ها هو، قال الرجل اخيراً وعلامات الارتياح بادية عليه. المنتجات الغذائية الدولية بيت من طابق واحد رقم ٣٦ لمدة ليلتين.

فقال ماثيو متردداً:

- حجزنا من اجل شخصين. اعني غرفتين واحدة للسيدة واخرى لي.

- لم يحجز سوى مكان واحد، يوجد في البيت الريفي سريران.

فأجابه ماثيو بحنق:

- انا نريد غرفة اخرى.

رمقت عينا الرجل نظرة مسكونة وأجاب:

- آسف يا سيدي فالمكان ممتلىء. هناك مؤتمر في المدينة... ولكن قد نجد غرفة ثانية في الغد.

- اريد غرفة ثانية اليوم، وأريد ان اقابل المدير من فضلك.

رد الموظف ببرود:

- لقد سافر المدير يا سيدي.

خشيت جاكلين ان ينفجر ماثيو غضباً، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث. ساد صمت لبرهة وجيزة، ثم التفت الى جاكلين باستسلام وتعب ظاهر على وجهه وقال:

- حسناً ليس علينا الآ ان نتشارك البيت الريفي. بما ان المؤتمر سيعقد في المدينة، فسيكون بيت البعثة ممتلئاً أيضاً.

اخذت جاكلين تفكر بالموقف... سأشترك مع ماثيو في الغرفة نفسها، وسريره بجانب سريري. تواردت في مخيلتها كل الاحتمالات. ستجني المتاعب. لم يفارقها المشهد الذي حصل في غرفتها. وتساءلت ان كان ماثيو سيستغل هذه الفرصة اذا ناما في الغرفة نفسها.

- بحق السماء لا تنظري اليّ هكذا، وكأني تدبرت هذا الموقف.

احمرت خجلاً. تساءلت ترى هل قرأ افكارها.

- اني أفضل الانفراد بنفسي.

شعرت انها سخيفة عندما قالت ذلك، ولكن كان عليها ان تقول شيئاً. قد يكون هو الآخر راغباً في الانفراد بنفسه. ولكن ليس هناك من خيار.

- ان الانفراد بنفسك في غرفة خاصة بك رفاهية، يجب ان تتنازلي عنها. انا بحاجة للنوم والراحة. لن اتخذ السيارة بيتاً، ولو حلت علي اللعنة لأنك محتشمة، خاصة وأنه يتوفر لي سرير جيد وسأنام عليه.

أدار ظهره ومشى نحو البيت الريفي بدون ان يتيح لها اية فرصة اخرى للمناقشة. فلم تر بداً من ان تتبعه. كان بيتاً ريفياً فقيراً. يتألف من غرفة جلوس كالعلبة، وحمام وغرفة نوم. كانت الجدران قديماً مطلية باللون الازرق، وقد اصبح لونها رمادياً بتأثير الغبار، ولمسات الأصابع. اما اغطية

السرير فممزقة وقديمة، ولكنها نظيفة وكأنها غسلت لتوها. وضع جهاز لتكييف الهواء في غرفة النوم. ادارت جاكلين مفتاحه بدون حماس يذكر ظناً منها انه لا يعمل. صدرت زمجرة وببطء دار المحرك وبدأ يعمل. . . مطلقاً نفحة من هواء بارد.

قالت مندهشة:

- انه يعمل.

أجاب ماتيو ساخراً:

- تمتعي به قبل ان يتوقف. او ينقطع تيار الكهرباء في منتصف الليل.

وعندما اخذا حوائجهما من السيارة، اخذ ماتيو مجلته، واستلقى فوق احد الأسرة وقال لها وهو يشير الى الحمام:

- ادخلي اولاً.

جمعت جاكلين حوائجها ودخلت الحمام. كان الحمام قديماً بنياً وخشناً اذ تركت مياه الأتربة آثارها واضحة عليه. اما حامل الدوش، فقد كان مزوداً بسطل مليء بالماء، كما وجد سطل آخر الى جانب المرحاض مما يشير على ان ماء الصنابير لا يجري. شعرت بالاستياء فهذه اول مرة تأخذ دوشاً بهذه الطريقة بعد يوم متعب. استحمت وارتدت ملابسها وعادت الى الغرفة.

تنهدت بارتياح عندما لفح وجهها نسيم جميل آتٍ من غرفة النوم. سيتمتعان بجو لطيف، وبارد اثناء النوم. نام ماتيو بسرعة ومجلته على صدره. أضحكها منظره الذي بدا غريباً. خلعت جاكلين عباءتها ودست نفسها في الفراش. غطت نفسها حتى ذقنها بالغطاء الاول. لن يستطيع ماتيو النوم وهو متسخ لهذا هتفت:

- انهض يا ماتيو لقد انتهيت من الحمام.

زمجر وجلس، فسقطت المجلة:

- هل تظنين ان الدوش ضروري الآن؟

- نعم. . ستنعم بنوم هادىء عندما تكون نظيفاً.

- اعتقد ذلك، وقف ونظر اليها وهي في السرير.

- أتريدين عشاء. طعاماً لذيذاً. ديك حبش مع ارز مثلاً؟

- لا. اريد ان انام.

- هل انت متأكدة من هذا؟

- اجل.

سحبت الملاءة حول نفسها، وكأنها درع سيحميها، كما شعرت برغبة في ضربه. هل يلعب مباراة معها، وهل يظن ان دمه خفيف.

اخذ ماتيو حاجاته ودخل الى الحمام. اغلقت جاكلين عينيها، وشعرت بارتياح مؤقت. لم تشعر بالاطمئنان الذي كانت تحلم به. انتظرت باضطراب عودة ماتيو الى الغرفة. زادت ضربات قلبها عندما عاد الى الغرفة يلف منشفة حول وسطه. طويلاً، قوياً، ذا لون اسمر داكن. بدا كفتى الاحلام الذي تتمناه كل امرأة، اجتاحتها موجة عارمة في ان تلمسه وان تدفن وجنتيها في صدره، وتداعب شعره الاسود الكثيف بأصابعها.

تضرجت وجنتاها وقالت:

- كان بامكانك ان ترتدي شيئاً.

- آسف لاحراجك. لم يخطر في بالي أبداً اننا سنتقاسم الغرفة.

نظرت الى الاتجاه الآخر. . كيلا يشعر باضطرابها، لكن جهودها ذهبت سدى اذ انه يفهمها جيداً.

اهتز الفراش عندما جلس ماتيو عليه ثم نظر اليها مبتسماً:

- هل تشعرين بالخوف مني؟

حاولت ان تجيبه بلهجة عادية، ولكن صوتها فضح ارتباكها:

- خائفة منك. . أنا. . لماذا؟

- لا تتظاهري انك لست خائفة.

نظرت اليه وادهشتها رقة نظراته، واشياء اخرى لم تفهمها. شيء ما جعلها ترتجف، فخفق قلبها بجنون لم تستطع عيناها ان تفارق وجهه، ولم تعلم كم مضى من الوقت، وكلاهما يتأمل الآخر.

وبرقة أخذ وجهها بين يديه هامساً:

- انك جميلة. . . جميلة بطريقة خاصة.

ثم انحنى عليها وعانقها بدفء ونعومة. كان هذا آخر ما توقعته.

تلاشى غضبها ومقاومتها. وشعرت بقلبها يختلج جاهداً. بدا لها ان العالم قد انهار، وانها امام حقيقة واحدة لا مفر منها وهي احساسها به. أحاطها بذراعيه... هل هذا ما تريد؟ هل هذا ما تنتظره؟ ولكنها لم تستطع ان تفكر بهذا في هذه اللحظة... شيء ما يشغلها.

- جاكي... جاكي... وفجأة ابتعد عنها وذهب الى السرير الآخر.

- تصبحين على خير يا جاكي.

مددت نفسها في الفراش وهي ترتجف. ماذا حدث.. ولماذا تركها هكذا؟

- ماتيو... ماتيو لا تعلم لماذا ناديته، ولكنه قال.

- نامي يا جاكي نامي.

لم تجرؤ على الكلام ثانية. كان عقلها مضطرباً، ولم تستطع ان تهدأ. سمعت انفاسه تملأ الغرفة. بماذا كان يفكر.. ما هو شعوره الآن. ليتها تعلم لم يكن نائماً انها متأكدة من ذلك. داهمها النوم فعانقت احلامها. وعندما استيقظت سمعت صوته يصفر في الحمام. عاد للغرفة وهو يفرك رأسه بمنشفة، وقال بصوت مجرد ودون ان يقصد شيئاً معيناً:

- صباح الخير يا سيدتي الجميلة. كيف نمت؟

- كالقتيلة.

سألته ضاحكة وكأن هذا اليوم لا يمت بصلة الى الأيام الأخرى:

- ما نوع هذا اليوم.

- دعيني أخمن، مشمش، وحار ومثقل بالرطوبة. الحرارة حوالى خمس وتسعين درجة اذا حالفنا الحظ، ما رأيك؟

- شيء لم تابع ما رأيك بالنهوض من السرير أم تريدين المساعدة. اجابته باستخفاف مثله:

- لا اشكرك. سأنهض عندما تخرج من الغرفة.

- حاضر. سأخرج لأتكلم مع العصافير. ولكن أسرعي فاني اتضور جوعاً. حبذا لو تأخذين اشياءك معك، ولو اننا سنعود في المساء.

تابعا سفرهما حوالى الساعة السابعة. كان الطريق يعج بالحركة فالنساء والبنات يحملن على رؤوسهن أوعية كبيرة مليئة بالماء. لفح وجهها هواء بارد من النافذة، فسرت قشعريرة في جسدها.

- هل تشعرين البرد؟

- نعم، وبدأت باغلاق النافذة، ان ما يدهشني حقاً كيف يتقلب الطقس فجأة اثناء السفر. لم يمض سوى نهار واحد، ونحن نسير باتجاه الشمال. ومع هذا فقد غدا الجو بارداً هنا. وقد خفت الرطوبة أيضاً. ضحكت جاكلين وهتفت، أيتها الصحراء ها أنذا آتية إليك.

كان عليهما ان يسافرا مدة يومين آخرين شمالاً كي يصلا الى الصحراء. ان مناخ الصحراء يتميز بالحرارة والجفاف، والأيام الحارة المحرقة والليالي الباردة المتجمدة، كم تتوق ان ترى الصحراء بشعبها ومدنها، وان تشاهد الجمال والواحات المليئة بالنخيل، وأشجار البرتقال. لقد سمعت قصصاً مشوقة من رفاقها الذين تطفلوا على السيارات ليتنقلوا في الصحراء من غانا الى مراكش.

شعرت جاكلين براحة تامة اذ لم يتكلم ماتيو عن موضوع الليلة الماضية، بل تجاذبا اطراف الاحاديث العامة والبسيطة بهدوء. مما امدها بالارتياح والطمأنينة. خاصة بعد ان زال معظم التوتر الذي كان سائداً بينهما. الا ان ذكرى دايانا كانت تقلقها. ولكن يكفيها ما حققته وماتيو من انسجام.

لم يذكر ماتيو دايانا قط، منذ ان غادرت قبل عدة اشهر. ترى هل ما زال يحبها وهل ستعود في يوم ما؟

لم تزل تصرفات ماتيو تربك جاكلين على الرغم من شعورها بالارتياح. تداعت أفكارها تباعاً. لماذا عانقها اذا كان لا يهتم بها؟ ترى هل أوحى لها خيالها بذلك. ولكن ترى هل تركت لمساتها اثراً في نفس ماتيو؟ فكرت بحنق لا. يجب الا افكر بهذا الموضوع فانه لا يجدي نفعاً. تحركت في مقعدها، ونظرت الى الخارج.

تبدل منظر الطبيعة بشكل ملحوظ بعد ان غادرا غانا امس. اختفت الغابات الاستوائية الخضراء في المنطقة الساحلية، وبدأت الاراضي صفراء جافة. كما اضيفت الاكواخ الدائرية الشكل والتي تجمعت قرب بعضها بعضاً كآبة وفقراً وجفافاً.

وبعد قليل انعطفت السيارة نحو طريق ترابي ضيق. وبعد ان قطعا ببطء كبير، وجهد بالغ عدة اميال اخرى، وصلا الى الساحة حيث وجدا

السيد مينيلا في انتظارهما. حياهما وقال بلهجة اميركية بحتة:

- انني مسرور جداً لقدومك يا آنسة دونلي.

كان يرتدي ثوباً فضفاضاً. لم يستطع هذا الثوب أن يخفي آثار اميركا وكانساس بالذات. قادهما الى منزله المكوّن من مزيج من الطين حيث قدم لهما اخوه بعض القهوة. انه رائع... همست جاكلين في اعماقها، وهي تنظر الى مينيلا. بدا طويلاً وأنيقاً ومثيراً في هذا الثوب الذي تعاكس لونه مع لون بشرته الاسود. تساءلت فيما لو ان مينيلا كان يرتدي هذا الثوب في أميركا. وعندما سألته اجابها قائلا والسرور يلمع في عينيه:

- كنت ارتديه في فصل الصيف عندما اشعر بالحر. وبالطبع عندما اذهب للحفلات، فليس هناك وسيلة أفضل منه لاثارة الفتيات.

أجابت جاكلين ولا تزال مندهشة من الازدواج الحضاري الممزوج داخل هذا الشخص الذي يبدو اميركياً بحتاً، لكن نظراته لا تخفي انه افريقي اصلاً.

- لا أشك في هذا.

عادوا بعد ذلك الى وسط الساحة حيث كانت القرية بأجمعها تنتظرهم بمن فيها: رئيس البلد، والأعيان، وحتى الفرقة الموسيقية المحلية. جلس الرئيس وهو نسخة طبق الأصل مكبرة للسيد مينيلا طويلاً وأنيقاً. جلس على وسادة محشوة فوق منصة فرشت بالجلود، وجلس الأعيان بأثوابهم الطويلة فوق درجات المنصة. قدمهما مينيلا الى الجميع، ثم احتلا مكانيهما. جلس ماتيو على مقعد خشبي، بينما جلست جاكلين على اريكة. غمز لها ماتيو فأدركت انهم يعاملونها معاملة خاصة للترحيب بها. فلولا وجودها معه، لجلس ماتيو على الاريكة المريحة.

ألقى الرئيس خطاباً بلغته. فترجمه مينيلا لهم. كانت جاكلين تختلس النظرات من حولها بانتباه. جلسوا في ظل منزل الرئيس المؤلف من عدة ابنية من اللبن بما فيها الابنية التي بدت كأنها مستودعات للقطن. بدت القرية قاحلة وفقيرة، وخالية من جميع المزروعات عدا بعض الأشجار.

أتى دور ماتيو في الحديث، فحدثهم عن شركته وطريقة عملها. ترجم

مينيلا مرة اخرى حديث ماتيو. راقبته جاكلين عن كثب، فلم تسمعه من قبل وهو يتحدث الى جمهور كبير. فشعرت بمزيد من الاعجاب به، لما يتمتع به من ثقة بالذات. كان متحدثاً بارعاً، يختار كلماته بحذر ودقة. وكان واضحاً انه اثار اهتمام الحضور كما اثار اهتمامها. كانت تحب ان تنظر اليه. بدا طويلاً، منتصب القامة... كان لون قميصه الابيض ذي الكم القصير لا يتناسب مع لون بشرته البرونزي. بدا مطمئناً لحديثه وللموقف جميعه. حتى انه استطاع ان يرمي بعض الطرائف، ويضحك الجمهور على الرغم من وجود العوائق اللغوية والحضارية. صفق الحضور له كثيراً عندما انهى حديثه. انتهت اجراءات الاستقبال، وذهب كل لاداء واجباته اليومية... كنقل الماء، او صناعة الاواني الفخارية. جلست جاكلين وماتيو مع الرئيس والاعيان، يناقشون الاعمال بشكل جدي. اخرجت جاكلين دفترها وقلمها، لتدون بعض الملاحظات حول الموضوع.

ابتدأ السيد مينيلا حديثه قائلاً:

- لدينا الف هكتار. لقد زرعنا القطن لعدة اعوام متتابعة. لم يعد القطن ينمو بشكل حسن، لأن الارض لم تعد ملائمة. لهذا تناقشت مع السادة الاعيان والمواطنين للبدء بزراعة فول الصويا.

- وكيف كانت ردود فعلهم؟

عقد السيد مينيلا ما بين حاجبيه:

- ترددوا في البداية. لأن فول الصويا ليس مألوفاً لديهم. وتساءلوا هل سيكون طعاماً جديداً؟ واخيراً اقتنعوا بانها فكرة جيدة خاصة لأن القطن لا يؤكل، ولم تعد موارده كافية.

تكلم ماتيو قائلا:

- قلت ان خيرات الارض استغلت. ماذا ستفعل من اجل ذلك؟

تتابعت الاسئلة، واخذت جاكلين تدونها بسرعة.

ازدادت حرارة الجو، فتصبب عرق جاكلين، ومسحته بيدها فلم تستطع ان تكتب. ولحسن حظها لم يداهمها الصداع.

شعر الجميع بالجوع والعطش، وانتهى الاجتماع بعد نصف ساعة. دعاهم الرئيس لتناول الطعام في مسكنه. قدموا لهما بعض المرطبات

والقهوة. وعندما انتهى الغداء ذهبوا جميعاً لالقاء نظرة على الأراضي.
كانت الشمس محرقة حتى ان الارض بدت لامعة مضيئة. تمشوا بين الصفوف المزروعة بالقطن المزيل. تألمت جاكلين من قدميها، وتبللت ملابسها بالعرق.

انتبهت جاكلين جيداً لحديث السيد مينيلا عندما تكلم عن خططه. وبعد ساعة لم تعد تسمع شيئاً، اذ استنفذت حرارة الشمس طاقتها. اما ماتيو فلم يتزعج كثيراً من الحر، مع ان قميصه كان مبللاً بعرقه. ولكنه ما زال يتكلم ويستفهم، ويمشي بدون ان يبذل مجهوداً كبيراً فوق الارض العطشى.

استغرق التجوال ساعة اخرى عادوا بعدها الى منزل السيد مينيلا. فقدموا لهم العصير الذي لم يكن بارداً تماماً. وبعد ان استجمعت جاكلين قواها، طلبت ان تزور عيادة البلدة.

اجابها مينيلا:

ـ بالتأكيد. وقد تجاوزت الساعة الرابعة ولا بد ان كارول وكوني الممرضتين موجودتان الآن. اما كورت الطبيب الألماني فذهب الى اوغادوغو لبضعة ايام. انه محبوب من الجميع، فهو شاب رائع، والممرضات لطيفات. اننا محظوظون كثيراً بوجودهم هنا.

كانت العيادة عبارة عن بناء ابيض مبني في ظل شجرة ضخمة عند احد اطراف القرية. حيث الممرضتان الاميركيتان جاكلين وماتيو بحرارة، ودعتهما بفخر لمشاهدة العيادة.

كانت اولاهما نحيلة وطويلة، والثانية قصيرة وبدينة. مما جعل منظرهما يثير الضحك. قالت جاكلين في سرها. . . ان صداقتهما الحميمة تساعدهما على تحمل الظروف التي تعيشانها. سألتهم كوني الممرضة البدينة:

ـ هل تنتظرون لنقدم الشاي لكم؟

كان وجهها مليئاً بالنمش، وعيناها الرماديتان تلمعان ببريق من الأمل، فأجابها ماتيو:

ـ لا. نشكرك. لا نستطيع، علينا ان نعود لتامال. لا احب قيادة السيارة في الظلام على هذه الطرقات.

اردفت كارول قائلة:

ـ لماذا لا تقضيان هذه الليلة هنا؟ لدينا المزيد من الأسرة.

فأردفت كوني وهي تنظر من ماتيو الى جاكلين وبالعكس:

ـ رجاء. لدينا علبة دراق من اوغادوغو سنفتحها ونحتفل بوجودكما.

ـ دراق كيف لنا ان نرفض؟

صرخت كوني معربة عن فرحها. فتابع ماتيو كلامه قائلا:

ـ في الحقيقة انها فكرة حسنة ان نبقى هنا، فلدي المزيد من الاسئلة عن الشعب.

اشتركت الممرضتان في بيت ريفي من الاسمنت الرمادي، لم يضف اي بهجة على ما حوله. ادخلت جاكلين وماتيو حقائبهما. نظرت جاكلين بسرور لما رأته من لوحات كبيرة ملونة على الجدران. غصت الرفوف بالكتب، كما وضعت بعض الالعاب المسلية كالمونوبولي والسكرابل، في أحد الزوايا. شاهدت جاكلين بعض الادوات المنقوشة وكرسياً من الجلد، وبعض الوسائد المغطاة بقماش عادي. مما اضفى على الغرفة جواً مريحاً، وعادياً حتى ان جاكلين شعرت وكأنها في منزلها. سألتها جاكلين:

ـ اين يعيش الدكتور؟

اجابت كارول، وهي تؤشر باتجاه بيت آخر في الممر نفسه الذي يتصل بالعيادة:

ـ في ذلك المنزل، وتابعت حديثها قائلة، يستطيع ماتيو في هذه الليلة ان يمكث في منزل الطبيب كورت. لن يعترض كورت. وتستطيع جاكلين ان تنام في السرير المجاور لسريري. وفجأة احمر وجهها، واستدركت الامر قائلة، اذا كان هذا يناسبكما، والا تستطيعان المبيت معاً.

بدا اضطراب كارول واضحاً فقالت جاكلين:

ـ لا. اشكرك اني متيقنة انه سيشخر.

نظر ماتيو في وجهها وغمزها بعينه:

ـ انني لا أشخر، وانت تعرفين هذا جيداً.

جاء جوابه محرجاً لجاكلين، فغدا اضطرابها ظاهراً. عندئذ تظاهرت الممرضتان بان لديهما بعض الاعمال. فاتجهت كارول الى المطبخ تهمهم

بعض الكلمات بأنها ستحضر الشاي.
اما كوني فاخذت فناجين القهوة كي تحضر فناجين الشاي. حاولت جاكلين جاهدة ان تجد ما تقول ولكن عبثاً. عبس ماتيو في وجهها بحقد وقال:

- انت التي دفعتني لذلك. سأحمل الامتعة الى غرفة كورت، ثم سأل كوني، هل الباب مفتوح؟ ام لديك المفتاح؟

- انه مفتوح، اننا لا نقفل اي شيء هنا. لان السرقة محرمة هنا سواء على الزوار او المرضى.

وعندما غادر ماتيو الغرفة، قالت كوني لجاكلين وعيناها تضحكان بخبث:

- ان كارول محتشمة كثيراً، تحاول ان تتخلص من هذا الاحتشام، ولكنها لا تستطيع، الحقي به فلن يهتم احد لهذا.

هزت جاكلين رأسها وقالت:

- لا. كان ماتيو يحاول ان يضايقني عمداً. اذ كان يتكلم عن ليلة امس فقد اضطررنا ان نتشارك الغرفة اذ حصل خطأ ما. فقد حجزوا لنا مكاناً واحداً. انني مساعدته الادارية وهذه فترة عمل قاسية. هذه هي الحقيقة سواء صدقتها ام لا.

قهقهت كوني:

- انظري الى كارول ونحن نخبرها بما حدث ليلة امس. سيحمر وجهها خجلاً.

عاد ماتيو وكارول الى الغرفة في اللحظة نفسها فسألها:

- أليس لديكم من يحل مكان الطبيب في حال غيابه؟

اجابته كارول:

- لا، نتدبر الامر بأنفسنا. اما اذا كان الامر صعباً، فاننا ننقل المريض الى المستشفى في تامال.

شربوا شاياً، واكلوا طبقاً مليئاً من زبدة فستق العبيد المحضرة منزلياً.
نظر ماتيو الى جاكلين عبر المائدة، وفي عينيه لذة الانتصار. ولكنها ضحكت له معربة انها لا تأبه لانتصاره. ولا تهتم لأنها لا تعيش في

القرن التاسع عشر. ولا يهمها ايضاً ما قد تظنه الفتاتان بها. صبت لنفسها قدحاً آخر من الشاي، وسألتهما:

- الا تشعران بالوحدة هنا؟ فمعظم الناس لا يتكلمون الانكليزية هنا على ما اعتقد.

اجابت كارول:

- بالتأكيد. ولكننا متفاهمون مع بعضنا بعضاً هنا وهذا ما يساعدنا كثيراً. ان كورت رائع، واحياناً يأتي بابا الى هنا فنمضي امسيات سعيدة.

- ومن يكون بابا هذا؟

ضحك ماتيو وقال:

- انه يروي قصصاً مشوقة لا تصدق. وحديثه شيق كثيراً.

ثم اضافت كارول:

- اننا نعرف بعض الاشخاص من البعثة الالمانية في تامال. ونذهب معاً في بعض الاحيان، ونقوم بكثير من المسابقات هنا. بابا يحب لعبة البوبولي.

اعجبت جاكلين بالمرضتين، وبطريقة معيشتهما، وصبرهما، وقدرتهما على التحمل. خاصة انهما تمارسان الطب هنا، وليس لديهما من الادوات الا القليل، وهذا ما يؤرق مضجع الاطباء عادة.

وفي صباح اليوم التالي غادر ماتيو وجاكلين القرية محملين بالهدايا، ارطال من الارز الاسمر، وديكا حبش يصيحان في مؤخرة السيارة، وثلاث دزينات من بيض الدجاج الحبشي.

قالت جاكلين:

- اني اكره ان آخذ هذه الهدايا. اشعر وكأني اختطفهم من افواه الاطفال.

- لا يوجد حل آخر. اذا رفضنا اخذ هذه الاشياء، فكأننا نذل اصحابها، ونحقرهم بعنف.

تابع ماتيو وجاكلين مسيرهما واهل القرية جميعاً من نساء واطفال ورجال يهتفون ويلوحون بأيديهم.

صاحت كوني باعلى صوتها:

- سأراكم في اكرا.

قالت جاكلين لماتيو وهما في طريق العودة:

- لا استطيع يا ماتيو ان اتخيل انني ممرضة في الادغال، حيث لا اجد مكاناً آخر اذهب اليه، ولا يوجد اناس اكلمهم الا اولئك المرضى. سأجن حتماً.

- انك تحبين حفلاتك وولائمك اليس كذلك؟

اجابته بغضب:

- ليست الولائم والحفلات ما تهمني. اريد ان اخالط الناس. وأسر بالعيش بين نماذج مختلفة منهم. اكتشف ماذا عملوا، وماذا انجز هؤلاء؟ واين كان اولئك؟

- ان تعليقي مجرد انتقاد يا جاكي، هز رأسه ضاحكاً، لماذا يزعج كل منا الآخر دائماً؟

دعينا نتخلص من هذا؟

تعجبت جاكلين من قوله وهمست في سرها: لقد قال نحن، ولم يقل انتِ اذن انه يشعر ايضاً انه يعنفها بدوره. يبدو ان اشياء صغيرة ستطرد هذا التوتر. ان هذه رحلة ممتعة لقد سرت جداً خلالها. وسيبقيان معاً حتى ليلاً في فندق تامال. داهمها شعور بالزهو عندما تذكرت تلك الليلة في الفندق متذكرة عناقه بها. الأفضل لك ان تنسي ذلك. فنظرت خارجاً كيلا تسرح بأفكارها من جديد.

وصلا الى كوماسي وقضيا ليلة في فندق المدينة، وفي صباح اليوم التالي تجولت جاكلين في المدينة مدة ساعتين، بينما ذهب ماتيو ليقضي بعض اعماله. ثم اتجها الى اكرا بعد ظهر ذلك اليوم. وما ان استقرا حتى باشرا بالعمل.

كتبت جاكلين تقريراً عن رحلتها الى الشمال. حرصت ان يكون التقرير جيداً لتثبت جدارتها. اصبح عدم ازعاج ماتيو امراً يهمها. انه مسرور بعملها حتى الآن، لكنه لم يعترف بفعاليتها وجدارتها الا مرة واحدة.

انها ليست مقتنعة ولا تعلم لماذا، انها تتوق لموافقته وتختلج في داخلها

تساؤل: هل عليها ان تفعل شيئاً آخر له، لا علاقة له بالعمل، شيئاً آخر يفوق تفوقها بعملها.

كانت ذكرى ليلة تامال تداهمها في اوقات غير مناسبة، تحوم حولها الذكريات مرات ومرات حتى انها تشعر بالضيق احياناً. لقد حقرها مراراً، وازعجها، واغضبها ولكن عندما احتضنها بدا وكأنه رجل آخر. عطوف، ناعم، وعذب. لقد ايقظ بها احاسيس لم تكن تعرفها. لم يعانقها للتسلية. انها لا تصدق ذلك. ولكن لماذا يتركها فجأة اذا كان بدافع الحب؟ هل تكمن دايانا في اعماقه؟ اما زال يحبها؟ وان صح ذلك، فهل يضايقها هذا الاحتمال؟ اجل انه يؤرقها، ويقض مضجعها. لكنها تشعر بالذل كلما تذكرت انها تستسلم للمساته بدون اية مقاومة. انها ترفض ان يكون تأثيره عليها عنيفاً. حتى ولو كان بحاجة الى دايانا.

وفي صباح احد الايام، وبينما كانت تعمل، وجدت ماتيو واقفاً امامها في مكتبها:

- جاكي.

نظرت اليه وهي توقف عملها بحيرة:

- نعم.

- هل انت مشغولة جداً؟ اريد ان اتحدث اليك. اريد ان اقول لك شيئاً مهماً.

- سأنهي عملي خلال دقائق، وآتي الى مكتبك.

- حسناً.

سمعته يتوقف في صالة الاستقبال، ويطلب قهوة لكليهما. ثم اخبر يتنشى قائلاً:

- لا اريد ان يزعجني احد.

لم تستطع جاكلين ان تتخيل ما الشيء المهم؟ حتماً انه لا يتعلق بالعمل. لن تنقلب الدنيا، ولم تسمع ان احداً يتوقع هذا. كما ان العلاقات الشخصية بينهما على ما يرام. وفجأة شعرت ان شيئاً يحطم اعماقها... انها دايانا ستعود قريباً. يجب ان يكون الامر كذلك. ان ماتيو سعيد منذ الصباح، وسيخبرها الآن ان دايانا ستعود، وانهما سيتزوجان قريباً. لهذا

يجب عليها ان تترك مسكنها، وان تجد مكاناً آخر تسكن فيه. لم يرق لها هذا التفكير. . فقد اصبحت الشقة منزلاً لها، ولا تريد تركها. وترفض عودة دايانا. كان عقلها يغلي اضطراباً، وفجأة شعرت انها مريضة.

٦- الشرارة المفقودة

كان ماثيو يجلس الى مكتبه، عندما دخلت جاكلين غرفته. وضع فنجاني القهوة على المكتب. اخذت احدهما وجلست. أدركت تماماً انه كان يتأملها. سألها:

- ما بك؟
- لا شيء. كنت أتساءل ما هي الأخبار الهامة.
- تشجعي. . انها أخبار جيدة.
- لك أم لي؟
- لنا معاً.

لم يكن سؤالها ينم عن ذكاء، ولكن لم يكن لديها سواه. سألها:

- بماذا تفكرين؟

هزت كتفيها وقالت:
- كنت أخشى ان تكون الأخبار سيئة. ربما ارتكبت خطأ ما. شيء لا أعرفه. لا اعلم، لا بأس حدثني عن الأخبار العظيمة.
كتف يديه، ودفع كرسيه للخلف وقال:
- ما رأيك في ترقية؟
- ترقية لي أنا! (أجابت مندهشة فقد كان هذا آخر ما توقعته).
- نعم لك. لا تحلمي بالكثير. انها ترقية صغيرة صغيرة.
بلعت لعابها. ترقية كم تحب ذلك! ولكن هل يعتبر ماثيو الترقية أخباراً هامة. كان شعورها بالراحة يفوق سعادتها. فقد فكرت بأشياء سيئة للغاية.
- ولماذا تعتبر هذه الأخبار سارة لك؟
- لأنك ستستلمين عملاً آخر بعد ترقيتك. أريد ان تهتمي بتقويم المراحل الأولى للمشروع، هل تذكرين التقرير الذي كتبته عن زيارتنا لقرية ميتيلا؟
- بالتأكيد.
- كان تقريراً ممتازاً. ان اسلوبك جيد جداً. فقد تبين ان لديك نظرة ثاقبة وواضحة لتفهم المشاكل والظروف المحيطة بالمشاريع، وبدا هذا واضحاً من طريقة عرضك للموضوع، انحنى قليلاً للأمام، ونظر اليها عن كثب، لقد جعلني هذا التقرير أثق بمحاكمتك للأمور، وأريدك من الآن فصاعداً ان تحددي جميع متطلبات المشاريع الجديدة. اجيبي على البريد، وقابلي الأشخاص الذين يأتون الى المكتب لأخذ المعلومات، حرك قهوته وابتسم، تبدين مرتبكة قليلاً.
- أجل! لست متمرنة على تطوير المشاريع.
- ليست المراحل الأولى معقدة. كما ان لديك كشوفاً كافية. وكما قلت لك انني واثق من محاكمتك للأمور.
- انني.. انني سعيدة جداً. ولكن اخبرني ماذا عليّ ان أفعل!
- ان الشق الأول بسيط. تستلمين رسائل من أشخاص يطلبون فيها ثمن محراث لزراعة الذرة في قطعة أرضهم. تكتبين رسالة اعتذار لبقة بأننا

لا نعطي المال، وتعرضين فيها خدمات ميكانيكية وفنية فقط. قد تتلقين رسالة تطلب انشاء معمل للسكر، فمصانع السكر شائعة هذه الأيام. ولكننا لا نهتم بهذا وفق مقاييسنا. اذ ان السكر ليس غذاء هاماً، فهو يعطي الجسم سعرات حرورية خالية من المواد الغذائية، ولا يفيد الصحة. (لوّح بيده وتابع) طبعاً لا تهتمي بمثل تلك الرسالة.
أخرج رسالة من ملفه، وقال لها:
- اعتبري انك تجرين فحصاً الآن. ان السيد مونكر يطلب مساعدة لزراعة مكسرات الكاشو، ولديه مؤهلات ممتازة كالأرض وبعض المال. فما رأيك؟
- لا يصلح.
فاجأها والدهشة في عينيه:
- ولماذا لا يصلح! ان الكاشو مصدر للبروتين.
- أعتقد انه مصدر للعملات الأجنبية. لأن الكاشو لا يستعمل للاستهلاك المحلي. سيصدرون الانتاج، وستجده متصدراً على موائد الحفلات في لندن.
- تفكير سليم. ظننت انني سأوقعك في الفخ هذه المرة، (قلب أوراق ملفه مرة أخرى) في كل حال هناك العديد من المشاريع الجديدة كفول الصويا واللوبياء وأطعمة جاهزة للرضع المفطومين. ادرسي هذه المواضيع، وأخبريني رأيك.
سألته بدورها:
- وماذا أفعل بالمشاريع التي أوافق عليها؟
- هذه هي الخطوة الثانية. قومي ببعض الأبحاث عن الموضوع. انظري ان كان قد جرّب أم لا.
اعطاها تفصيلات أخرى، فشعرت جاكلين ان موجة من القلق المشوب بالفرح تنتابها غيّرت جلستها، وكتفت يديها وكأنها تعانق نفسها:
- يبدو ان الأمر ممتع للغاية. أتمنى ان أشارك بالأعمال الفعلية للمشاريع.
تأمل وجهها طويلاً. كانت نظراته دافئة وممزوجة بشيء لم تستطع

تفسيره. لقد شاهدت تلك النظرات من قبل في تلك الليلة في تامال. تدافعت الذكريات أمامها سريعة، وبوضوح منذر بالخطر. شعرت برغبة عارمة بعناقه مرة أخرى، نظرت اليه، وأيقنت بجنون انه يفكر ايضا بعناقها وبتلك اللحظة. خفق قلبها.. التقت نظراتهما لمدة طويلة، ثم نظر الى الأوراق التي على مكتبه وقال:

- الخطوة الثالثة هي...

تابع كلامه بصوت هادىء وغير متقطع. استجمعت جاكلين قواها، وركزت ذهنها على حديثه. عادت بعد لحظات الى غرفتها، وشعرت بموجة من السرور والفرح. ان عملها الجديد يدل على ان ماثيو أصبح واثقاً منها، ولهذا عهد اليها بمسؤوليات جديدة. وهذا ما يهمها كثيراً. ولكنها تريد شيئاً آخر أدركته في تلك اللحظة، عندما نظر اليها نظرة غريبة لاحت في عينيه.

جلست جاكلين الى مكتبها، ووضعت وجهها بين يديها. لا تفعلي هذا بنفسك همست في أعماقها. لا تجعلي من الحبة قبة. لا تتخيلي شيئاً لم يكن.

وبعد ان استطاعت ان تبعد كل الأفكار الأخرى عن ذهنها، أخذت تركز اهتمامها على عملها. وفي مساء ذاك اليوم، رنّ جرس الهاتف وما ان رفعت السماعة حتى سمعت صوت ديفيد عبر الأسلاك، لم تشاهده بعد عودتها من الشمال فقد كان في واشنطن:

- آلو ديفيد!

- كيف حالك يا جاكي؟ ما رأيك ان نتناول العشاء معاً الليلة؟

- أنتهي من أعمالي، وسأدفع الحساب. إذ نلت اليوم ترقية.

- وكيف حصل هذا؟ ان هذا كثير بالنسبة لفتاة مدرسة لا تؤخذ مأخذ الجد.

ضحكت جاكلين قائلة:

- سأخبرك المزيد.

كانت الوجبة هادئة في مطعم شاطىء النخيل، وبعد العشاء تمشيا فوق رمال الشاطىء، يحملان أحذيتهما بأيديهما، يتكلمان ويضحكان. كانت

الرمال المبللة باردة تحت أقدامها العارية.

خيّم الصمت لبرهة، فتمشيا وهما ينصتان الى الأصوات الصادرة عن البحر. كان الشاطىء هادئاً، وخالياً من الناس. أحبت جاكلين الوحدة، وفرحت لعدم ظهور الجماهير، والحر، والضجة وهم المعالم الرئيسية للحياة في أكرا. وفجأة قطع ديفيد دابر الصمت وقال:

- لنجلس...

رمى نفسه على الرمال وجذبها اليه. داعب نسيم لطيف وجنتيها، ورفع ديفيد خصلة من شعرها خلف أذنها.

- ان شعرك ينسدل بنعومة، فلماذا لا تتركينه يتدلى على أكتافك؟

امتزج صوته بنبرة غريبة. شعرت جاكلين باحساس غريب لم تستطع تحديده.

- ديفيد!

- لا تتكلمي.

احاطها بيديه وعانقها.

- لا يا ديفيد. رجاء.

همس بأذنها:

- انني أريدك يا جاكي.

تصلّب جسمها، وقالت متوسلة:

- أرجوك يا ديفيد.. لا...

- ما الأمر؟

- لا أستطيع... انني لا أستطيع.

ابتعدت عنه، وهي تشعر بالحزن، وكادت دموعها ان تنهمر. لا انها لا تريد هذا! ولم تطلب ذلك! قال لها بصوت متزن وهادىء:

- تعالي هنا يا جاكي... لماذا هذا الخوف؟

غطت وجهها بيديها وقالت:

- اني آسفة يا ديفيد. لا أريد ان تكون جاداً في طلبي. اني لا أريد ان أزعجك.

فقال بلهجة قاطعة:

- انك لا تحبينني يا جاكي!
- ليس الأمر كذلك.
- تعالي هنا يا جاكي، أمسك بيدها، دعينا نتكلم عن هذا الموضوع.
اقتربت منه، فوضع يده على كتفها برقة وقال:
- النقطة الأولى: انك صديقتي يا جاكي. وأحب ان أكون معك. انا نستمتع بأوقاتنا وأحاديثنا معاً، انك تتمتعين بالعقل والاحساس كأي انسان آخر. النقطة الثانية: وبالاضافة الى انك انسانة، فانك امرأة بكل معنى الكلمة. توقف عن الكلام ونظر اليها، كما اني شاب طبيعي كباقي الشبان. وسيكون الأمر شاذاً اذا لم أرغب ان يحدث شيء ما بيننا.

هز رأسه وهو يبتسم لها. كانت عيناه مندهشتين مما أشعرها انها فتاة صغيرة وسخيفة.

- هل تسخر مني يا ديفيد؟
- ما زلت صغيرة... صغيرة، لا تقلقي لهذا الشأن، ولا تفكري به كثيراً. ستتفجر مشاعرك ذات يوم، وعندها ستدركين ما تجهلينه الآن.

التقط حذاءه وهزه ليزيل الرمل عنه وقال:

- سأبقى صديقك في الوقت الحاضر ان كنت ترغبين بذلك لأقتنع بصحبتك الممتازة. وسأكبح عواطفي.

دلّت ضحكتها الصادرة من أعماقها عن زوال قلقها وقالت:

- انك يا ديفيد صديق بكل ما في الكلمة من معنى.

انه لا يريد ان يسيء اليها، ولكنها لم تستطع ان تتخلص من الشعور بالذنب، لأنها رفضته، وانما لأنها لا تكن له الا عاطفة الصداقة الأخوية. وشعورها بذلك واضح. عادا الى السيارة، وتعثرا بالرمال، وبدأت تتساءل ترى: هل أحبها ديفيد؟ لم يشر الى حبه لها. وكانت تعتقد ان عاطفة الصداقة بينهما متبادلة لماذا لا يكون الأمر بهذه البساطة؟

وعندما عادت الى المنزل. لم تر سيارة ماتيو في مكانها المعتاد. فعلمت انه ذهب الى النادي حيث يقضي معظم أوقات فراغه يسبح، أو يمارس احدى هواياته الرياضية.

دخلت الى المنزل واستعدت للنوم. كانت بعض حبات الرمال ما زالت عالقة على ملابسها، وشعرها وحتى على جلدها. لن تتخلص منه الا اذا استحمت. تداعت الأفكار في ذهنها تباعاً، فلم تستطع ان تنام. كانت تفكر بديفيد وماتيو معاً. ليتها تحب ديفيد... لماذا لا تحبه؟ انه لطيف، وصديق مخلص، ولكن للأسف لم يحرك مشاعرها الدفينة. لكن ماتيو ايقظ مشاعرها ولا تستطيع انكار ذلك. ترى هل كان انسجامهما انسجاماً فيزيائياً ام طبخة كيميائية صحيحة؟ ام ان عواطفها تحركت؟ ترى هل هذا ما يسمونه الحب؟

نامت على بطنها تضغط وجهها بالوسادة. كان رأسها يثقل كالصخر، وعيناها تؤلمانها. الحب... ما هو الحب؟ هل ستعرفه في يوم من الأيام؟

لم تشعر جاكلين بتحسن، الصداع ما زال يزعجها، فنهضت من سريرها لتأخذ بعض الأسبرين. لم تجد أية حبة. فقد نسيت أين وضعت الزجاجة عندما استعملتها آخر مرة. قد تجد بعضاً منها في حمام ماتيو. لكنها لا تحب. ان تتجسس على مكانه الخاص. الا انها بحاجة ماسة لبعض الأسبرين، والا لن تنام الليلة من شدة الصداع.

ذهبت الى حمامه، فلم تجد أياً من الأسبرين لا في علبة الأدوية ولا في مكان آخر من الحمام. ان هذا مضحك. وبينما كانت تقف في الرواق، سمعت صوت الباب الأمامي يفتح. دخلت غرفة الجلوس في اللحظة نفسها التي دخل ماتيو الغرفة، مرتدياً بنطالاً قصيراً، مع قميص أبيض حاملاً مضرب الكرة. ارتبكت جاكلين كثيراً، ونظرت اليه بقلق وقالت:

- كنت... كنت أبحث عن حبوب الأسبرين، ولم أجد أياً منها.

نزل شعرها على عينيها فرفعته بعصبية الى الخلف.

- بحثت في حمامك ولم أجد شيئاً. آمل الا أكون قد أزعجتك.
- انني لا أحتفظ بالأسرار في حمامي. وأعتقد ان الأسبرين في المطبخ. لقد أخذت منه أمس وتركته هناك. اجلسي سأحضره لك.

سمعت صوت الثلاجة يفتح، فعلمت ان ماتيو يصب لها كأساً من الماء المثلج. عاد الى الغرفة وناولها حبتين منه وكأس الماء.

ـ صداع؟

هزت رأسها موافقة. وبلعت الأسبرين مع الماء. لم تبعد نظراتها عنه. اذ بدا جميلا في ملابس الرياضة. بدا شعره أشعث، فانتابتها موجة جنون عارمة ان تخلل أصابعها في هذا الشعر الكثيف. التقطت عيناه نظراتها. وقال:

ـ هل هناك شيء آخر؟ وضع يده على جبينها فارتعشت فجأة. عقد ما بين حاجبيه ـ هل تأخذين الدواء المضاد للملاريا؟

ـ نعم. طبعاً.

ـ هل حرارتك مرتفعة؟

ـ لا لدي صداع فقط.

أثار اهتمامه بها اضطرابها. ضحك ضحكة هزيلة وقال:

ـ أريد ان أتأكد فاني لا أستطيع احتمال مرض مساعدتي الادارية! كما تعلمين.

أزعجها تعليقه لبرهة. اذا كان مقدراً لها ان تمرض، فسيحصل هذا كحلم لي. قد يستطيع المكتب ان يمارس أعماله لعدة أيام بدون حضورها اذا كان هذا ما يخشاه. نهضت وهي تشد ثوبها حول نفسها. وضعت شعرها خلف كتفها وقالت:

ـ يحسن بي ان أذهب للنوم. أشكرك من أجل الأسبرين.

شعرت بارتياح في صباح اليوم التالي. وعندما دخلت غرفة الجلوس لتناول وجبة الافطار، وجدت ماتيو يقرأ جريدة الصباح. رفع رأسه وقال:

ـ صباح الخير. ما أخبار الصداع؟

ـ لقد زال. أشكرك.

ذهبت جاكلين لتحضر شيئاً من القهوة، فحيّت كويسي الذي كان يقلي بيضاً، ويحمص الخبز. كان الطقس غائماً منذراً بالمطر. أدارت مفتاح الضوء قائلة:

ـ ان المطبخ مظلم.

أجابها كويسي:

ـ أجل ستهطل الأمطار.

انقضى الصباح بسرعة، وانتهت التقارير المالية الشهرية في موعدها المحدد لأن الطريقة التي اتبعتها كانت فعالة.

وبعد الغداء بدأت قراءة تقرير عن مزارع الماعز، عندما هبت رياح عاصفة من النافذة المفتوحة، فبعثرت جميع الأوراق على الأرض. ثم صفع باب وتلاه الآخر. أغلقت النافذة، ووقفت صامتة لمدة. وهي تتأمل أشجار جوز الهند المتمايلة مع الهواء. كان الهواء منذراً بالعاصفة حيث كان يشتد في كل ثانية. حل الظلام على الغرفة، فاضطرت ان تدير مفتاح الضوء. ستنقشع الغيوم سريعاً، وتهطل الأمطار. رحبت جاكلين بهذا التغيير الجوي فهي تحب الأمطار، ورائحة الأرض المبللة بمياه المطر، وحفيف الأشجار الندية.

وبعد ان جمعت أوراقها، جلست لتنسقها من جديد. قرعت بيشنس الباب، وأدخلت لها فنجاناً من القهوة. كان الفنجان يقعقع فوق صحنه مما يدل على أن الفتاة ترتجف. فسألتها جاكلين:

ـ هل تخافين المطر يا بيشنس؟

ـ لا. . . لا. . . لا أعلم ماذا جرى للسيد سيمونز.

سألتها جاكلين:

ـ ماذا حدث؟ ماذا تقصدين!

قالت بيشنس:

ـ سلمته بريده منذ لحظات، وبدا سعيداً، وطلب فنجان قهوة. وعندما أحضرته اليه، حملقت عيناها وبنظرات قلقة تابعت، لم يكن على ما يرام يا آنسة دونلي.

هرعت جاكلين الى الباب قبل ان تفكر ماذا ستفعل؟ قرعت بلطف باب مكتبه الذي كان مفتوحاً قليلا ودخلت. لم ينظر اليها، وحالما منظر ماتيو مرمياً على الكرسي، وكأنه بالون متلاش، وعندما حاولت ان تقترب منه، شعرت كأن ساقيها من المطاط يتحركان ببطء، وسألته:

ـ هل من شيء يا ماتيو؟

كان يحملق في بعض الأوراق التي أمامه. نظر اليها بهدوء، وبوجه

ومادي وعينين محتلتين باحساس مبهم وداكن. أجابها:

ـ لن يكون اي خطأ بعد الآن. لقد توضح كل شيء. أصبح الأمر واضحاً تماماً.

جفلت جاكلين لدى سماع صوته الحزين. راقبته وهو يجمع أوراقه، ويضعها في حقيبته، ثم دفع كرسيه الى الخلف بعصبية ونهض.

ـ عفواً! اعذريني.

وتخطاها الى الباب وخرج. تسمرت في مكانها. هل حدث مكروه له؟ لم تعرف كيف تتصرف. سمعت صوت سيارته ينطلق فوق الطريق المفروشة بالحصى. هطل المطر بعد لحظة. فشعرت بقشعريرة في جسدها، وتملكها احساس بالخوف لا فكرة لديها عما تكلم او أين ذهب. عادت الى أوراقها، فوجدت قهوتها دافئة. دخلت بيشنس الغرفة وعلى وجهها تعبير مروع وسألتها:

ـ هل هو بخير؟

فأجابتها جاكلين:

ـ لا أعلم يا بيشنس، أعتقد انه ذهب لمنزله لاسيما ان الطقس رديء للغاية.

استمر المطر يهطل وقد اشاعت الرطوبة السوداء في الجو كآبة وذبولاً. شعرت جاكلين بالاضطراب والعصبية، فلم تنجز شيئاً من عملها طوال فترة بعد الظهر. وعندما أشارت الساعة الى الخامسة مساء، ولم ينقطع المطر، قادت جاكلين بيشنس وساموس الى منازلهما كيلا يتبللا بالمطر، وهما ينتظران الباص. كان المنزل مهجوراً عندما عادت اليه، فقد كان كويني يستمتع بعطلته الاسبوعية، وماتيو خارج المنزل. أين ذهب يا ترى في هذا الطقس الرديء، جداً؟ لماذا تقلق عليه وهو قادر على الاهتمام بنفسه؟ أعدت وجبة مما كان في الثلاجة. وعندما أشارت الساعة السابعة مساء، ولم يأت تساءلت ان كان عليها ان تنتظره. وبعد لحظات اشتد هطول المطر وأصبح المنزل كئيباً وموحشاً. اعترتها هواجس مختلفة، أخذت تتزايد ساعة بعد أخرى. شيء ما قد حدث له؟ حادث سيارة مثلاً؟ يجب ان تخبر أحداً بذلك. من؟ ديفيد.

وعندما سمعت صوت ديفيد يجيب على الهاتف قالت:

ـ انني مسرورة لأنك بالمنزل.

ـ لماذا؟ هل حدث مكروه ما؟

أجابته بقلق:

ـ أجل انه يتعلق بماتيو. فقد ذهب ولم يعد ولا أعلم أين هو؟

أخبرته عما حدث ولكن ديفيد ضحك وأجابها:

ـ تبدين يا جاكلين كزوجة قلقة. استرخي. يستطيع الاهتمام بنفسه.

ـ حاولت... حاولت دون جدوى. لا أعلم لماذا... كانت حالته سيئة جداً عندما غادر المكتب.

ساد الصمت فترة طويلة ثم أتى صوت ديفيد:

ـ حسناً يا جاكي سأبحث عنه.

ـ آه، ديفيد أشكرك.

وأخيراً توقف هطول المطر، فداهمت المنطقة جماهير غفيرة من الذباب. حشرات غريبة تشبه الفراشات المجنحة تطير على النوافذ

وما ان تجاوزت الساعة الحادية عشر ليلا حتى رنّ جرس الهاتف:

ـ هل كنت في الفراش؟ (سألها ديفيد).

أجابته بصوت متقطع:

ـ لا.

ـ لم أعتقد ذلك. انه في طريقه الى المنزل. سيصل حالاً.

تنفست الصعداء وسألته:

ـ أين كان يا ترى؟

ـ لا أدري أين أمضى فترة بعد الظهر. ولكنه أتى الى هنا بعد أن أغلقت الخط مباشرة يا جاكي. جلس عندي طوال السهرة، يتناول بعض المرطبات، فلم استطع ان أخابرك. لأنه كان الى جانبي.

ـ معك حق يا ديفيد. اني أقدر الموقف... هل اكثر من تناول المرطبات؟

ـ لا.. لا.. قليلا. لقد أجبرته ألا يقود سيارته بنفسه وأرسلت كوفي معه وسيعود بسيارة أجرة.

- كوني المشرف على منزلك أليس كذلك؟ معذرة فقد نسيت هذا، لأني لا أستطيع جمع شتات أفكاري هذه الليلة.
فأجابها ساخراً:
- لقد وجدت النعجة الضالة، بإمكانك ان تنامي الليلة.
سمعت صرير البوابة، ثم صوت العجلات على الطريق المفروش بالحصى.
- انه هنا. لقد وصل. من الأحسن ان ننهي المكالمة.
فقال ديفيد:
- اطلبيني عندما تريدين. اتفقنا.
- نعم سأفعل. أشكرك جداً.
قفز قلبها بين أضلعها. عندما راقبت ماتيو وهو يدخل من الباب، بدا وجهه رمادياً ومنهكاً، ونظراته مبهمة وداكنة. قال:
- على الفتيات ان يكن في أسرتهن في هذه الساعة المتأخرة من الليل.
- لم استطع النوم، فهذه الضفادع اللعينة تصدر أصواتاً مزعجة للغاية.
انهار فوق المقعد الوثير:
- تعالي يا جاكي، واجلسي الى جانبي. يجب ان نتكلم، لم نتكلم أبداً معاً. اننا دائماً نتخاصم.
ردت عليه:
- لم نتخاصم منذ عدة أسابيع. لقد أوقفنا العداء. كنت في طريقي الى المطبخ كي أصنع قهوة. هل تريد فنجاناً؟
نظر اليها بملل وقال:
- أجل.
مضت جاكلين الى المطبخ، وهي ترتجف كالورقة. انه جنون. قعقعت الفناجين في يدها ووقعت الملعقة أرضاً.
قال ماتيو وهو يأخذ فنجانه:
- ان ديفيد شاب من الطبقة الارستقراطية. انك محظوظة يا جاكي.
عضت شفتها لتكبح غضبها وقالت:
- ان ديفيد صديق ودود. عرفته منذ زمن مضى.

الباب دون ان يفصح عما يريد.
- الصداقة القديمة شيء جيد.
لم تسعفها الكلمات. فجلست أمامه ترشف قهوتها. بدا كل شيء من حولها ساكناً لبرهة لولا نقيق الضفادع المستمر في الخارج. كان ماتيو مشغولاً بأفكاره يتداولها في سره وهو يحملق بفنجان قهوته. أحاطت جاكلين فنجانها بأصابعها القوية. وهي تشعر بالاحباط. ليت لديها ما تقول، ليتها تعلم كيف ستمزق هذا الجمود، وتصل الى أعماقه، لتساعده او تفعل أي شيء من أجله. ولكن ليست لديها أية فكرة عما اعتراه. وفجأة نهض من مكانه قائلاً:
- أريد ان أريك شيئاً، تعالي.
جذبها من يدها وقادها الى غرفة نومه التي لم تدخلها حتى ذلك الوقت. كانت متسعة، ولها أرضية خشبية كباقي انحاء المنزل. وضع السرير الكبير المغطى بالقماش الملون، الباهظ الثمن في احد أطراف الغرفة. مشى ماتيو الى خزانة صغيرة وأخرج شيئاً من الدرج ناولها اياه قائلاً:
- من هذه يا ترى؟
كانت صورة لفتاة تقف على الشاطىء، امام أشجار جوز الهند في ثوب السباحة الأسود جميلة وطويلة جداً، لها أطراف نحيلة. وكتل من الشعر الاحمر تتدلى على كتفيها بشكل لفائف كثيفة. شعرت جاكلين بجفاف في حنجرتها وبلعت لعابها وقالت:
- انها. . . انها. . . انها خطيبتك.
بدت ضحكته قصيرة ومريرة:
- خطيبة؟ هذا ما ظننته؟ بل هذا ما ظنه الجميع.
- لا أفهم ما تعنيه يا ماتيو.
ان صوتها غريباً ومنخفضاً وكأنها تهمس ذلك لنفسها. أجابها بضحكة مريرة:
- لم تفكر أبداً ان تتزوجني. كما تعلمين. . . لم تفكر أبداً.
وضحك ثانية بصوت بارد وحزين. تمنت لو انه توقف عن الضحك فقد آلمها المرارة الصادرة من أعماقه. مشى ماتيو الى السرير، وتهاوى عليه،

وهو يخلع حذاءه. قال وهو يحملق بالسقف بجمود:
- لم تقرر أبداً ان تتزوجني.

٧ - يملأ عالمها

تأملت جاكلين الصورة بدقة ، ثم وضعتها على الخزانة الصغيرة ، محاولة أن تجد ما تقول . كان ماتيو مضطجعاً على سريره يراقبها . ناداها ضاحكاً .

- تعالي الى هنا يا جاكي . لا تقفي هكذا .

لم تستطع تحريك قدميها ، ولم تستطع أن تنظر اليه . بدا كشخص غريب الآن . تملكها شعور غريب لم تستطع إدراكه ، ترى هل هو الغضب ؟ ام الأسف ؟ ام الحزن ؟ لم تكن متأكدة من ذلك . لاحظ ماتيو ترددها ، فربت بيده على الفراش وقال :

- تعالي اجلسي هنا . . . لا تخشي شيئاً .

جلست على حافة السرير ترتجف برداً ، جاء صوت ماتيو قاطعاً حبل

الصمت :

- كانت دايانا عارضة أزياء . هل علمت هذا؟

اجابته بصوت هامس وكأنها لا تريد التحدث عنها ، ولا الاستماع الى رأيه فيها :

- نعم .

- كانت جميلة ، وناجحة جداً . تعرفت عليها في كينيا . هل زرتها؟

- لا .

تمنت أن ينهي الحديث عنها . أرادت أن تنهض ، وتمضي لشأنها . ولكن شيئاً ما كان يشدها الى غرفته وكأنها لاصقة بالسرير .

- ذهبت دايانا الى كينيا في رحلة عمل ، حيث كانت تقوم بعرض نماذج من ملابس الصيف الجديدة . أرادوا أن يصوروها في بلاد مشرقة حيث تتجول الفيلة والأسود في خلفيات المشهد .

لم تتفوه جاكلين بكلمة ، ولم يكن لديها ما تقول ، بل كانت تمس بعصبية قماش غطاء السرير الملون المفتول باليد ، وعيناها مأخوذتان بألوانه الزاهية البرتقالي والأزرق والأخضر . جلبها صوت ماتيو يقول :

- طبعاً لم أدرك أن أفكاري تختلف عن أفكارها في ذلك الوقت . كنت احب ذاك الشعر الأحمر ولم أر سواها ، ضحك بمرارة وتابع ، أما هي فقد وقعت في غرام سيارتي اللاندروفر . كانت لديها أفكار جنونية تتعلق بنمط معيشتي . ظناً منها أنني احد الصيادين المتألقين البيض .

همست جاكلين في سرها ألا يدرك وبسهولة انه يبدو كأحد الصيادين البيض بجسمه القوي المحروق بأشعة الشمس ، وبوجهه المربع الصارم وعينيه السوداوين اللتين تعكسان مسحة من الغرور والتعالي . لم يبق الا ان يرتدي ثياب الصيادين ، ويركب سيارته اللاندروفر حتى يغدو المشهد عندئذ حقيقة . لكن جاكلين متأكدة أن عمله في كينيا تطلّب منه كل أوقاته بمزيد من الجهد والعناء فأنى له الفرصة المناسبة ليمارس هواية الصيد ألم تدرك دايانا هذا يا ترى ؟

وفجأة تابع ماتيو :

- لم يكن الأمر سيئاً في البداية فنيروبي مدينة زاخرة بكل متطلبات

الحياة . استطاعت دايانا أن تقوم بأشياء كثيرة دون ملل . ثم أتت الى هنا . هل تستطيعين تخيل فتاة مثلها في هذا المكان ؟ تصوري أنها لم تجد أمر الشفاء المناسب ، فكرهت المدينة هنا وكرهتني لأنني لم أحقق لها آمالها . كانت تنتمي الى مجتمع نيويورك بكامل تدفقه الحضاري . حرك رأسه ، ولم ينظر الى جاكلين ، وكأنه قد نسي وجودها على الاطلاق ، أما هنا فلا شيء ينتمي اليها . وفجأة ضحك ببرود وتابع بصوت ينم عن احتقاره لنفسه : أردت أن اتزوجها . . . فتاة بتلك الأوصاف . كم كنت مغفلاً . قالت انها لا تؤمن بالزواج وخاصة الزواج التقليدي المرتبط بالجذور القديمة من عقد وتسجيل وغير ذلك . ثم قالت انني رجل تقليدي وانظر هكذا للحياة . وكالمغفلين أقنعت نفسي انها ستبدل رأيها وتعود الي ، حلق بجاكلين وسألها ، ترى هل تقبلين أنت الزواج مني ؟

خفق قلبها بشدة وقالت :

- ماتيو . . . انا . . . انا . . .

فقاطعها قائلاً :

- ان اشياء كثيرة تلائمك هنا أكثر من دايانا . أنت تحبين هذا المكان ولا تخافين من الزواحف . تأكلين الطعام ، ولا تصرخين مزمجرة لعدم توفر بعض الأشياء . ولا تتذمرين من نقص الخدم ، ولا تشكين الملل . ضحك بطرف فمه ، ولديك كتاب السحر يعلمك كيف تصنعين سائلاً للجلي وتهتمين بعملك . حلق بالسقف وأضاف ، لم تهتم دايانا يوماً بعملي ، بل كانت تسخر مني وتطلق علي اسم : ماتيو منقذ العالم .

كانت عينا جاكلين متعلقتين بثنايا وجهه الى جانب فمه ، وبشفتيه المعبرتين عن يأس مريع ، فاعتراها حزن عميق مؤلم ، ونظرت في أرجاء الغرفة تتفحصها ، ولكنها بالحقيقة لم تر شيئاً . التزم ماتيو الصمت ، وعندما نظرت اليه ثانية كان مطبق الأجفان . فظنت انه نائم ، وعندما حاولت أن تنهض ، أمسك بيدها وسحبها الى جانبه . أحاطها بذراعيه ، وتلعثمت كلماته وهو نصف نائم وقال :

- لا تذهبي يا جاكي رجاء ابقي معي .

كان رأسها يدور ، والدماء تغلي في عروقها حتى سمعتها بأذنيها ، وغدا

صوتها أعلى من نقيق الضفادع في الخارج . كانت تخشى ضخامته ، وفجأة اعترتها رغبة جامحة في أن تلصق وجهها بوجهه ، وأن تبقى معه حتى الصباح . أخافها هذا الشعور ، فأدارت وجهها الى الجانب الآخر .

لا شك أنني مجنونة . . . لا شك انني فقدت عقلي . وعندما نام نوماً عميقاً مسترخياً . . . ترك يدها ، فانسحبت في هدوء ، وعادت الى غرفتها .

كان الصباح براقاً ومنعشاً وحاراً كثيراً . اتى ماتيو لتناول الافطار كعادته واثقاً من نفسه وأردف :

ـ يجب أن اعتذر عما بدر مني بالأمس يا جاكلين . فلم يكن من عادتي أن أفقد توازني لأي سبب .

اجابته بهدوء :

ـ أعلم هذا .

تأملها لبرهة بعينين باردتين وأردف :

ـ اني واثق انك تعلمين ذلك .

لم يكتف بهذا القدر من الاعتذار اللطيف بل تابع حديثه :

ـ آسف كنت مزعجاً امس .

ردت جاكلين :

ـ لم تكن غير متزن ، ولم تكن مزعجاً . ولكن طرأ عليك تغيير بسيط .

ـ لست واثقاً بما حدثتك أمس . ولكني مستعد أن أسرد لك الحقائق الآن .

عضت جاكلين شفتها ونظرت الى طبقها وقالت :

ـ لا ارجوك . لا تفعل . لست مضطراً أن تشرح أي شيء . . . انس ما حدث .

شعر ماتيو باضطرابها . . . ولاح شبح ابتسامة على فمه وهو ينظر اليها . ثم أردف :

ـ هل كان ما قلته سيئاً للغاية ؟

ـ لا على الاطلاق . . . ولكن . . .

ـ إذن . . . ما الأمر ؟

فكرت لحظة كيف تترجم شعورها الى كلمات ؟ قد تكون الصراحة أسهل وأفضل طريقة للتعبير فقالت :

ـ طلبت مني أن أبقى في غرفتك ، وحدثتني عن أشياء لا تخصني ، كنت مسترسلاً في سرد الأخبار ، فلم أوفق في أن أجعلك تلتزم الصمت .

ـ حسناً . شرب قهوته وقال : لنبسط الأمور إذن لقد أخبرتك انني أحببت دايانا في كينيا قبل قدومي الى هنا بوقت قصير ، وأردت ان أتزوجها . كان لديها اتجاه آخر . عاشت معي لفترة ، ولكنها لم تحتمل العيش هنا . لهذا سافرت . لقد استلمت منها بالأمس رسالة ، تخبرني انها لن تعود ، وان علاقتنا قد انتهت . لقد انتقدت في معرض رسالتها طريقة معيشتي وأفكاري ، لا بل لم تنتقد فقط بل شرحت ما عندها مما أفقدني توازني . لا أعلم لماذا استأت هكذا مع ان الأمر متوقع . وانه لمن الغباء ان أثور بهذا الشكل فهي لا تستحق ذلك . وها أنذا اعتذر منك .

كان صوته بارداً وهادئاً وكأنه يروي قصة لا تمت اليه بصلة . نظرت جاكلين اليه ، بعينين حائرتين . اذ كانت الأفكار تتلاطم في رأسها ، بينما شرب ماتيو آخر نقطة من قهوته ونهض قائلاً :

ـ لنذهب الى المكتب .

انصرم الاسبوع الذي تلا هذا الحديث كما أقبل ، بدون أن يجلب معه إلا الأمطار والرطوبة .

لم يعد ماتيو يشير الى تلك الليلة التي تكلّم فيها عن دايانا . وأخفى عندئذ بما يجول في نفسه . لكن جاكلين لم تستطع أن تطرد من مخيلتها الجملة التي كانت دايانا تنعته بها : ماتيو منقذ العالم .

وجدت جاكلين هذه الكلمات قاسية جداً ، لأنها لمست من خلال احتكاكها المتواصل بماتيو انها لا تنطبق عليه . فهو لا يعمل من اجل الشهرة ، ولا لجمع المال ولا يعتقد ان الله سخره لانقاذ البشرية في افريقيا . إن مثاليته لا تتعارض مع المنطق السليم ، أو حقيقة العالم المادي . كان مقتنعاً في أعماقه بمبدأ المساواة ، وأن تتاح جميع الفرص المتكافئة لتحقيق كيان محترم . لقد سخرت دايانا من مبادئه ، واخطأت في فهمه ، لذا نعتته بتلك الصفات . ما الذي دفعها الى ذلك ؟ رغبتها في

ايلامه ؟ أم غيرتها ؟ لم تفهمه جيداً ، لأنها لم تكتشف أهمية العمل بالنسبة اليه . ولم تستطع أن تشاركه هذا الشعور بل سخرت منه . فحياتها كمارضة أزياء لم تؤهلها أن تفهم ماتيو . في إحدى الأمسيات ، تناولت جاكلين كتاباً تقرأه ، لكنها لم تستطع فهم ما قرأت فقد كان السؤال نفسه يجول في خاطرها :

- هل يحب ماتيو دايانا فعلاً ؟ طبعاً انه يحبها . كانت ترفض بإصرار أحياناً هذا الواقع مصفوعة بغيرة عنيفة ، هل ما زال يحب دايانا مع كل هذه الاختلافات بينهما ؟ لم تشأ أن تسأل نفسها هذا السؤال ، ولكنه كان جاثماً بين طيات دماغها منذ زمن طويل . وإذا كان لا يحبها ؟ فلماذا استاء من رسالتها الأخيرة ؟ واختفى ساعات ليعود مصعوقاً ومهتزاً وحائراً . لقد تكلم عنها تلك الليلة . لكنه لم يسرد صفاتها . ولم يتغزل بها .

اقترب عيد ميلاد جاكلين الواقع في الواحد من شهر آب ، وأصبح قاب قوسين أو أدنى ، فبدأت تشعر بالأشياء ، لأنها تريد تناول العشاء في مكان ما خارج المنزل ، لكنها لا تستطيع إخبار ديفيد بذلك اليوم إذ ستضطره أن يشتري لها هدية وهذا ما لا تريده . اضطربت جاكلين وبدأت تقنع نفسها بأن عليها أن تتصرف بحكمة ، وليس كطفلة صغيرة في الرابعة من عمرها يرضيها قالب كاتو وبعض الشموع . أتى يوم عيدها ، ولم يحصل معها شيء يذكر . شعرت بالوحدة والألم لأنها منبوذة ومنسية . حتى انها لم تستلم تهنئة من والديها . . . قد تأتي غداً . كانت تعد نفسها بيوم غد . سيطر عليها حزن عميق ، ولم تستطع أن تفهم ضحكات ستيفن ولا طرائفه المتعلقة بالنعاج الشاردة . لا شيء استطاع أن يخلصها من رثاء ذاتها .

كانت الساعة تشير الى الخامسة عندما أحضرت بيشنس مذكرة من ماتيو كتب على المذكرة : هل من مشاريع الليلة ؟

حملقت جاكلين بالأحرف المنتشرة على الورقة . هل عرف ماتيو ان اليوم هو عيدها . لماذا لم يذكره لها ، ولم يشر اليه من قبل . رفعت كتفيها . لا انه لا يعلم ، والأرجح انه يستفسر اذا كان بامكانها أن تعمل ساعات اضافية في المكتب ، أو انهما سيدرسان مشروعاً مفيداً هذه الليلة معاً في المنزل ، كالمرتين الماضيتين . لا بأس . . . لن يؤثر هذا في شيء حتى ولو

عملت ليلة عيد ميلادها . لاحظت ان بيشنس ما زالت تقف أمام مكتبها وبسرعة دونت « لا . . . ليس لدي أي ارتباط » . ثم أعطت بيشنس الورقة قائلة :

- اعطي هذه للسيد سيمونز من فضلك .

ابتعدت بيشنس وسمعت جاكلين صوت حذائها عبر غرفة الاستقبال . رتبت جاكلين مكتبها ، وتأبطت حقيبة كتفها . يجب أن تذهب الى المنزل أولاً كي تأكل شيئاً . كان ماتيو يمشي في الرواق . باتجاه غرفتها بخطى طويلة ووئيدة . انها تستمتع بالنظر اليه والى تحركاته . رافعاً رأسه ومبتسماً . لم يكن أنيقاً ، ولكن شخصيته الصارمة جذبتها اليه . إنها دوماً تخشى من هذا الانجذاب . قال وهو يدعوها للعشاء :

- حسناً ، اذا لم يكن لديك ما تعملينه الليلة . فما رأيك أن نتناول العشاء خارجاً . ونبتعد هذه الأمسية عن طعام كويسي الرائع ؟

أجابت بهدوء :

- أتمنى ذلك .

قطب جبينه وسألها :

- اين ديفيد ؟ هل هو خارج المدينة ؟

- لا . إن ديفيد في أكرا كما اعتقد .

زاد من تقطيب جبينه :

- اخبريني . أين تريدين أن نذهب ؟

- أي مكان تريد عدا مطعم كودي كودي حيث يتناول به معظم الموظفين الغانيين طعامهم لقربه من المكتب .

ضحك وقال :

- لم اكن أفكر بمثل هذا المكان . اني افكر بمكان متطرف .

- اذن اني أفضل كوموضور . كم اتمنى ان اتناول بعض المأكولات اللبنانية كالتبولة والكبة والحمص .

- حسناً . سنذهب اليه اذن .

لم يشر الى عيد ميلادها . وما زالت جاكلين مرتبكة ، لماذا يدعوها للعشاء ؟ قال ماتيو :

- ليتك تتركين شعرك منسدلاً فهو جميل .

كان شعرها طويلاً ومتموجاً ومنساباً حتى خصرها . لن يضايقها ، ولن تشعر بالحر بسببه ما دام المطعم مكيفاً . شعرت وكأنها فتاة مراهقة تلبي أول دعوة من صديقها للمرة الأولى . لم تدرك لماذا كانت تشعر بالخجل وبالسرور معاً عندما أخذ ماتيو يطري شعرها .

طلب ماتيو عشاء فاخراً مع بعض المرطبات الباهظة الثمن ، وعندما احتجت جاكلين . ضحك ماتيو وقال :

- هل يحتفل أحد بعيد ميلاده بلا مرطبات فاخرة ؟

سألته ضاحكة :

- كيف علمت أن اليوم عيد ميلادي ؟

ضحك بدوره وقال :

- من الملف الخاص بك ، فعندما عهدت اليك بعملك الجديد في الشهر الماضي . كان علي أن أعود الى ملفك من اجل الترقية التي حصلت عليها . عندها لاحظت تاريخ ولادتك .

وضع يده في جيبه وأخرج منها علبة صغيرة دفعها اليها عبر المائدة قائلاً :

- وهذه هي هدية العيد لأفضل مساعدة ادارية في أفريقيا الغربية .

سكتت وكأنها مصعوقة ثم نظرت الى العلبة دون أن تلمسها . ابتسم لها وقال :

- ألا تريدين أن تري ما بداخلها ؟

اعترضت قائلة :

- لا . . . لا أستطيع أن اقبلها .

اجاب بسخرية ممزوجة برعب :

- لا تخبريني أنك تريدين أن تتشاجر هنا وأمام الناس ؟ ماذا سيظنون ؟

وعندما لم تجبه التقط العلبة ، وفتحها ثم وضعها بالقرب من طبقها .

- هذه هدية مني لك ، ارجو أن تقبليها .

أخفضت جاكلين عينيها ، ونظرت الى العلبة . أقراط صغيرة ناعمة من الذهب الصافي الذي صنع في غانا . وبحذر رفعتها ووضعتها على

راحة يدها وهمست :

- اوه يا ماتيو ، ولمَ هذه الهدية الباهظة الثمن ؟

- الم تعجبك ؟

- اوه رائعة . . . انها جميلة .

- ولكنني احب أن اراها تتمايل في اذنيك . اخذ منها الأقراط وقال ، احب أن اضعها لك بنفسي .

أخجلتها الذكريات فتضرجت وجنتاها احمراراً :

- لا تحرجني يا ماتيو . . . إن المكان مظلم . ولن تشاهد بشكل جيد .

- هل تراهنين ؟ دار حول المنضدة ، وجلس على كرسي بالقرب منها ، التفت الي .

كانت عيناه تعانق نظراتها . فقررت أن تتابع هذه اللعبة معه . رفعت يدها ونزعت القرط الذي كان في اذنها . فرفع لها شعرها عن وجهها . شعرت ببرودة يديه عندما لمس وجنتيها الدافئتين . وقرب وجهه كثيراً منها وهو منهمك بعمله . أقلقها اقترابه منها ، كما كان يحدث دائماً . وبدأ قلبها ينبض بجنون .

وضع ماتيو الأقراط بسرعة ، ولم يواجه أية صعوبة في ذلك . وعندما انتهى لم يتحرك بل نظر اليها :

- انك جميلة ، خاصة عندما تحمر وجنتاك هكذا .

- اشكرك .

- عيد سعيد يا جاكي .

كانت مسرورة وسعادتها تفوق الوصف . ضحكت في وجه ماتيو وقالت :

- ولماذا اخترت هذه الهدية ؟

- هدية السلام . لانني كنت غبياً بشكل لا يغتفر له عندما وصلت الى هنا . ولأشكرك على لطفك لأنك استمعت لي وأنا أفضي اليك بأسراري . كنت في حاجة ماسة الى البوح لأي شخص بما يقلقني ويقض مضجعي .

- اشكرك يا ماتيو . انني مسرورة جداً .

لكنها شعرت بالذنب أيضاً ، فلم تكن بريئة هي الأخرى لأنها تركته في حيرة من أمرها ، ولم تخبره عن حقيقتها ، وعن عملها السابق حتى وصل الملف الخاص بحياتها فاكتشف ذلك بنفسه .

- انني مسرور . أمسك شوكته وبدأ طعامه .

وضعت جاكلين قليلاً من التبولة على ورقة خس ، ثم وضعتها في صحنها وقالت :

- ماتيو .

نظر اليها نظرة ضاحكة أسرت عينيها .

- نعم .

- اريد أن اعتذر لك بدوري .

- تعتذرين ولماذا ؟

- لم اكن انا ايضاً صريحة . كان علي ان احدثك عن خبرتي في العمل ، تركتك تعتقد أشياء خاطئة . فقد كنت حمقاء .

- اعلم . بدا في عينيه لمعان داكن وعميق . دعينا الآن ننسى . اني أعرفك جيداً الآن .

توقف قلب جاكلين للحظة :

- ماذا تعرف ؟

- اعرف انك تحبين عملك ، وتقومين به باخلاص . يا جاكي لا اريد أن افقدك ولو كلفني ذلك العالم بأجمعه .

هذا ما تتمنى فعلاً أن تسمعه منذ أن عملت معه . فان اباح لها بشيء ، فقد قال لها ما تريد . اعتراها قلق غامض لشيء تجهله ولم تدرك كنهه ، فشعرت بالانزعاج . ماذا كانت تتوقع اذن . اخذت تتساءل .

- دعينا ننسى البداية السيئة . . . انني أجد أن الأمور غدت أفضل في الآونة الأخيرة .

- نعم . وتابعت طعامها من جديد .

لم يكن المطعم مزدحماً . وقد أضفت الشموع عليه جواً ودياً وعاطفياً . مما جعل جاكلين تتأثر بهذا العشاء الفاخر . وتستمع باهتمام الى ماتيو وهو يروي لها قصصاً مختلفة عن طفولته : منها المضحك ومنها الحزين .

وصلا الى المنزل في وقت متأخر من الليل . ففتح لها ماتيو الباب الواصل الى غرفتها . تأملته . كان طويلاً جداً . سيطر على حواسها ، شعرت برغبة جامحة لعناقه . شعور لم تستطع أن تفهمه . قالت :

- لقد قضيت امسية سعيدة يا ماتيو اشكرك .

بدت نظراته دافئة وباسمة :

- حسناً . لقد استمتعت بصحبتك يا جاكي . انك صديقة لطيفة .

لم يتحرك أحد منهما ، شعرت جاكلين بعودة الشرارة وبالاهتزاز في أعماقها .

أخفضت عينيها ، ونظرت الى سترته الحريرية المطبعة بمشتقات اللون الأخضر . أرادت أن تخفي وجهها في صدره وأن تشعر بيديه حولها .

رفع رأسها برقة ، فازداد اختلاج قلبها . التقت عيونهما . . . وامتلأت نظرته بالحنان وبشيء آخر لم تفهمه . وفجأة تغيرت عيناه . . . اصبحت نظرته داكنة ، ومبهمة . انزل يده عن وجهها بقلق وقال :

- تصبحين على خير يا جاكي .

- اشكرك من اجل الأقراط .

ضحك ضحكة خفيفة وقال :

- انه من دواعي سروري يا جاكي ان اشتري أقراطاً لك .

لم يبق الا أن تغلق الباب . اتكأت عليه . . . داهمها شعور بالحزن . مشت ببطء الى الحمام ونظرت في المرآة . بدا وجهها حزيناً . لكن الأقراط اضفت عليه لمعاناً خفيفاً تحت انعكاس الضوء . وللحظة تأملت نفسها في المرآة ، ثم ما لبثت أن غطت وجهها بيديها . همست لا . . . آه . . لا . . .

لقد وقعت في حب ماتيو . لن تستطيع إنكار هذا أكثر من ذلك . لقد نمت مشاعرها في أعماقها تدريجياً ، ولكنها للآن لا تريد البوح بذلك . شعور عميق خاص . . . لا يقاوم إنه الحب .

لم تكن لمساته تلك التي جعلتها تشعر بهذا الدفء . كانت تحب كل ما حوله ، عمله ، ومشاعره ومعتقداته ، وشخصيته ، وقوته ، وكبرياءه التي سمح له أن يعتذر منها ، لتصرفاته الخاطئة . وعلاوة على ذلك انها

قلب لحظات ضعفه وعناده وانفعاله .

وعندما اضطجعت في سريرها ، أخذت تفكر لماذا تخيفها حقيقة مشاعرها الى هذه الدرجة . يقولون ان الحب احساس ممتع ورائع يحيي القلوب والأوصال . ولكن هل هو حلاوة لا تدوم . لاح امامها الشعار الذي حملته الشاحنة . لا ليس الحب لذيذاً دوماً .

تتالت الأيام على ما هي عليه . الى ان فاجأها ماتيو يوماً قائلاً :

ـ اريد ان أقضي اجازتي في الولايات المتحدة ، هل لك أن تتدبري امر البطاقة والحجز ؟

اجابت كالأغبياء ؟

ـ اتسافر الى الوطن ؟

ـ الا تظنين انني بحاجة لزيارة الوطن .

ـ نعم . . . نعم . . . طبعاً .

وسرحت وهي تفكر أن ماتيو سيعود الى الوطن ، سيسافر مدة شهر . ليته فكر في الذهاب قبل الآن . اما الآن فان مجرد التفكير بسفره لا يطاق ثم تابع وهو يضحك :

ـ الا تريدينني أن اذهب ؟

ـ انما كنت افكر ماذا سنفعل خلال غيابك ؟

ـ انني متأكد انك والزملاء تستطيعون أن تتدبروا الأمر بشكل لائق .

ـ ومتى ستذهب ؟

ـ من منتصف ايلول وحتى منتصف تشرين الأول .

اعطاها بعض التفصيلات ، وعاد الى مكتبه . وفي أحد الأيام اتى مينيلا الى المكتب مع كوني الممرضة . فحصلت بعض التغييرات . اتى مينيلا الى اكرا لانهاء عمل له وقد نزل عند بعض اقربائه . تحدث مع ماتيو وقدم له اعتذاره ، لأنه لم يكلمه فور وصوله . طلب ماتيو من كوني أن تنام في غرفة الضيوف . تركت جاكلين عملها لتصحبها الى المنزل . مكثت كوني اسبوعاً عندهما . استغرق حصولها على الأدوات الطبية يومين ، حتى استلمتها من الميناء مما اثار غضبها . كان ماتيو وجاكلين خلال مدة مكوثها معها يستمعان الى التفاصيل الدقيقة جداً عن ضروب المحنة التي ألمت

بها . وعلى الرغم من ان جاكلين سرت بزيارة كوني ، إلّا انها تنفست الصعداء عندما غادرتها أخيراً . كما ان ماتيو رفع عينيه نحو السماء بارتياح . ضحكت جاكلين وقالت :

ـ ولكنها في الحقيقة لطيفة يا ماتيو .

ـ صحيح . كادت ثرثرتها أن تصيبني بالجنون .

غادر ديفيد بعد اسبوع متجهاً الى كينيا ، حيث سيعمل ستة أو سبعة أشهر . كانت الأسابيع الأخيرة فوضوية وغريبة ، حتى ان جاكلين شعرت انها تكافح بذهول هذه الأيام ، وتشعر بعدم التوازن . عملت جاكلين جاهدة ، ولساعة متأخرة من الليل ، كي تنهي أكبر قدر من الأعمال في الأسابيع التي سبقت سفر ماتيو . فانجاز العمل أثناء وجوده سيخفف من اعباء العمل . أرادت أن تشغل نفسها كيلا تفكر بأمورها الخاصة . وفي المساء كانت تقرأ كي تنام . وصلها بعد عيد ميلادها بيومين عدة كتب من والديها كهدية . أيقن والداها ان الكتب ملكية ثمينة في بلاد لا يتوفر فيها الكثير من مجالات التسلية . حانَ سفر ماتيو فقادته جاكلين في الصباح الباكر الى المطار . اخذت تراقب الناس بينما وقف ينتظر دوره لتفتيش حقائبه . اجتمع جمهور متنوع من المسافرين في بهو المطار من افريقيين ، واميركيين ، مرتدين ثياباً رائعة ، بما فيهم جماعة من اللاعبين الرياضيين ونساء من نيجيريا بجدائلهن المتقنة . تلألأت اقراط وسلاسل الذهب في آذانهن وعلى صدورهن . كانت امتعتهن محزومة في سلال وعلب مربوطة بالخيوط . انها لا تمل ابداً مراقبة الناس .

اعلن وقت اقلاع الطائرة ، فحمل ماتيو حقيبة يده وقال :

ـ لا تنتظري يا جاكي . . . لأننا سنبقى في قاعة الترانزيت مدة من الزمن .

قالت بصوت طبيعي لم تخالطه ثورة أعماقها : -

ـ حسناً . تمتع بعطلتك .

ضحك في وجهها ، وربت على كتفها قائلاً :

ـ حظاً سعيداً يا جاكي سأراك الشهر المقبل .

راقبته حتى غاب عن أنظارها . ثم أدارت وجهها تحاول أن تبتلع لعابها

على الرغم من تقلص حنجرتها . وببطء ذهبت الى الشرفة ، دفعت الى الفتاة التي تقف عند الباب خمس قطع نقدية صغيرة . بدت الطائرة ضخمة . . . حدقت بها جاكلين لمدة ، بينما اعترتها ببطء سـ[illegible]رية غريبة .
بدأ الركاب يصعدون متن الطائرة ، وهي ما زالت على الشرفة . راقبت ماتيو وهو يتقدم بخطى وئيدة يصعد الدرج ثم يختفي داخل الطائرة . شعور بالوحدة سيطر عليها ، وامتلأت عيناها بالدموع . « انك غبية » همست في اعماقها . مجنونةوحمقاء غبية . دارت وخرجت من المطار وكل شيء يهتز من حولها ، والألوان تضطرب امامها . لم تكن قد ابتعدت كثيراً عندما سمعت صوت الطائرة يشق عنان السماء ، هطلت دموعها بدون توقف . لم تستطع جاكلين أن تواجه المنزل الموحش أو المكتب . وعند مفترق ساحة داكاه انعطفت نحو اليسار باتجاه منزل ليزا .

حيّت المشرف على منزل ليزا وقالت عندما دخلت المطبخ :

ـ صباح الخير يا غوردسون هل السيدة تورنر موجودة ؟

ـ انها في غرفة الجلوس يا سيدتي .

كانت ليزا جالسة على الأريكة تنظر الى مجلاتها المكدسة . نظرت الى الأعلى وما ان رأت جاكلين حتى بدت دهشتها واضحة . الصقت نظارتها بوجهها وهي تحييها :

ـ أهلاً جاكلين . ماذا تفعلين هنا في منتصف ايام الأسبوع ؟ وخلال ساعات العمل هل طردك رئيسك ؟

اجابتها جاكلين .

ـ لا .

دفعت ليزا بالمجلات جانباً . ثم سألت جاكلين :

ـ تشربين القهوة معي اليس كذلك ؟

ـ اجل بكل سرور .

ذهبت ليزا لتعطي تعليماتها لغوردسون . وعندما عادت نظرت الى جاكلين وعلى وجهها تعبير قاس . وقالت لها :

ـ حسناً . اليس اليوم موعد انطلاق الرئيس الى وطنه ؟

جاء صوت جاكلين هزيلاً يفتقر الى الحماس وأجابت :

ـ نعم . لقد عدت لتوي من المطار . لم ارغب أن أعود فوراً الى المكتب . سأحتفل معك بارتداد حريتي المفقودة ونشرب فنجاناً من القهوة .

علقت ليزا ضاحكة :

ـ شيء معقول فعلاً .

دخل غوردسون الغرفة وهو يحمل صينية القهوة ، نهضت ليزا وأخذتها منه :

ـ شكراً يا غوردسون

وضعت الصينية على المنضدة ونظرت الى جاكلين .

ـ تشربين قهوتك بلا سكر أو حليب .

ـ نعم قهوة فقط من فضلك .

تناولت الفنجان من ليزا وقالت :

ـ يبدو ان المكان هادىء . . . اين طفلتك ؟

ـ اخذتها كريس في نزهة . فهي تدرجها في عربتها كل يوم بعد تناول فطورها قبل أن يشتد الحر .

جلست ليزا ورشفت رشفة حلوة من فنجانها ، وهي تتفحص جاكلين وقالت :

ـ اذن ما هي المشكلة يا جاكلين ؟

تنهدت جاكلين وقالت لنفسها لن تستطيعي اخفاء الأمر عن ليزا ولن تخدعيها . وأردفت قائلة :

ـ نظراً لكل الحقائق والوثائق المثبتة لديك يا ليزا ألا تظنين انني سأشعر بالسرور لأن ماتيو سيغيب عن وجهي شهراً كاملاً ؟

ردت ليزا ببرود :

ـ من المحتمل .

ـ وماذا تعني من المحتمل ؟

تابعت ليزا :

ـ منذ مدة مضت كنت أجزم انك ستقفزين فرحاً إذا غاب عنك ، ولكنني لست متأكدة الآن ، توقفت قليلاً ، والأرجح انك حزينة واعتقد

انك كنت تبكين لتوك .

لم تتفوه جاكلين بكلمة . حدقت في النوافذ العريضة حيث بدت من خلالها أزهار البوغنفيليه الزهرية والبرتقالية ، وكأنها سحابة من غيوم أمام الزجاج . ترى منذ متى وليزا تشعر أن احاسيس جاكلين تغيرت تجاه ماتيو . ثم تابعت ضاحكة :

- جاكي . هل تريدين أن تسمعي تحليلي ؟

ضحكت جاكلين قليلاً في وجه ليزا وقالت :

- نعم احب أن اسمع رأياً آخر .

- اليك رأيي اذن . انك تعانين من أزمة قلبية يسمونها الحب . . . مستعصية ولا تعالج ، ضحكت ليزا متابعة ، شعرت باصابتك منذ مدة بسيطة .

اعترت جاكلين موجة ساحقة من اليأس وضحكت بمرارة في وجه صديقتها وقالت :

- أي شيء سيء هذا الذي اصابني ؟ كم يصبح الانسان أحمق احياناً .

ضحكت ليزا وقالت :

- اي حمق هذا . انا لا ارى اية حماقة في هذا الموضوع . في الحقيقة اراك ذكية تماماً .

- آه .

- لست حمقاء لأنك تجاهلت علائم الحب التي اعترتك ، متظاهرة انك لا تحبينه . في حين بدأت تشعرين بهذه العاطفة وتحاولين تجاهلها . لقد اعترفت بالحقائق لنفسك ، وتستطيعين الآن أن تدرسيها .

ردت جاكلين :

- رجاء ! اخبريني كيف ؟

- لنتحدث عن الأشياء الأولى أولاً . ماذا عن دايانا ؟ لم تعد على ما أظن . أما زالت صورتها ماثلة أمامه ؟

هزت جاكلين رأسها :

- لقد انتهى كل شيء بينهما .

- اذن انه انسان حر الآن .

- نعم .

- اذن فما هي المشكلة الآن ؟

كانت جاكلين معجبة بتصرفات ليزا الواضحة والمباشرة . اما الآن فقد شعرت جاكلين بالارتباك حيالها . انتزع تحليل ليزا مشاعر جاكلين اذ شعرت انها تنتقدها ، وانها تطرح مشكلتها كأي عملية حسابية ١+١=٢ ولكن الحب ليس هكذا . على الأقل ليس في هذه الحالة الخاصة . كررت ليزا .

- اذن ما هي المشكلة ؟

- اوه يا ليزا لا اعلم . اتمنى لو اعلم ، احنت رأسها ووضعت وجهها بين يديها وأردفت ، اريده أن يبادلني هذا الحب . ولكنه لا يفعل . وبكل بساطة لا يفعل .

قالت ليزا بصوت ناعم :

- اني لا اعلم ما الذي حدث بين ماتيو ودايانا . ولكن مهما حدث فانه مؤلم حتماً . لقد آلمه . . . امنحيه فرصة كي يعود لنفسه .

- وهل تظنين انه سيحبني مع الزمن ؟

ضحكت ليزا وهي تلصق نظاراتها في وجهها مرددة شعاراً قرأته على احدى الشاحنات :

- لا تفقدي الأمل يا جاكي ، اعطه فرصة كي يجمع أشلاء نفسه . اذا كنت تحبينه فعلاً ، فقليل من الانتظار لن يؤذيك .

همست في سرها ، قليل من الانتظار لا يؤذيني كيف ؟ وانا اشعر ان غيابه عدة اسابيع قد طال . كان المكتب موحشاً ومملاً اثناء غيابه . لقد افتقد الجميع غيابه . كأنه وحده سبب كل نشاط وفاعلية . حاولت في البداية أن تحيي الجو الا أن كل الموظفين عبروا عن استيائهم وتناقص حماسهم . وهكذا أوقفت جاكلين محاولتها .

ذهبت الى السرير في وقت مبكر حيث قرأت لمدة أطول مما اعتادت . تناولت الطعام مع ليزا وزوجها مرتين وكان هذا امتداداً لحياتها الاجتماعية . لو كان ديفيد هنا . . . اخذت تفكر ولكنه ما زال في نيرودي . كل يتمتع بأوقاته الا هي .

وكي تزداد الأمور تعقيداً لم تسر الأمور على ما يرام أثناء غياب ماتيو . فقد مرضت بيشنس وتوقفت عن أداء عملها . كما توقفت الثلاجة عن العمل . والثلاجة الكبيرة كانت ممتلئة بالسمك ، ودجاج الحبش ، والأرانب ، فأخذت جاكلين تسعى من هنا الى هناك طوال صباح يوم الاثنين علّها تجد متسعاً في احدى الثلاجات . أودعت قسماً من الأطعمة لدى ليزا . ثم أودعت البقية في ثلاجة ديفيد ، بعد أن امضت ثلاث ساعات تبحث عن مفاتيح شقته . وأخيراً وبعد عدة مكالمات ، أتى الميكانيكي ، وسحب الثلاجة فوق سيارة شاحنة صغيرة .

ومضى اسبوع لم تتلق جاكلين اي مكالمة من شركة التبريد التي تدعي انها ذات خدمات سريعة . مما اضطرها أن تذهب الى الورشة لتتأكد بنفسها .

فأجابها السيد آزو :

ـ اننا نبحث عن القطعة الناقصة . مؤكداً ان نصف موظفيه قد قلبوا المدينة بحثاً عنها ليلاً نهاراً دون جدوى .

فسألته :

ـ هل استطيع أن أدوّن مواصفات القطعة الناقصة . ورقم موديل الثلاجة . . . الرقم المتسلسل الخ . . .

أحضر لها القطعة وأخذ يملي عليها ما تريد . أخرجت جاكلين دفترها وقلمها وسجلت ما تريد من معلومات بشأن القطعة . وعندما عادت الى مكتبها . أرسلت برقية الى نيويورك ، تطلب منهم شراء القطعة وارسالها مع ماتيو . ومن حسن حظه فان القطعة صغيرة .

لم يكن بقاؤها بلا ثلاجة امراً مستحيلاً فقد تكيفت مع ظروف أصعب من هذه .

تنهدت وهي تنظر الى كدسة الأوراق التي على مكتبها . فقد تأخرت بدراسة الملف المالي . حاولت جاهدة أن تضبط امور الملف المالي ولكن دون جدوى . وعندما عادت ظهر احد الأيام لتناول طعام الغداء ، أخبرها كويسي ان المكواة قد احترقت ، فشعرت بحاجة الى الصراخ . قالت بسرعة وهي تبتلع طعامها :

ـ سأتدبر امرها فيما بعد .

وفي المكتب عادت لدراسة الملف المالي وتابعت عملها . ولما اشارت الساعة الى الرابعة بعد الظهر ، وجدت انها لم تستطع انهاء عملها . اذ كان الخطأ في الحسابات ما زال كما هو . خرجت من المكتب غاضبة ، ولم تعد ترى اي رقم آخر بعد ذلك . وفي المنزل أمسكت بالمكواة وهي في حيرة من امرها. ماذا ستفعل بها . تذكرت انها شاهدت محل كهربائي في نهاية الشارع لا يبعد عنها كثيراً . اخذتها اليه وأصلحتها وأعادتها الى البيت .

أنهكها التقرير المالي ، فأحضرته معها الى المنزل ، علها تنهيه في تلك الأمسية . جلست الى مائدة الطعام الكبيرة التي تغطت بأوراقها الكثيرة ، وعادت لتتفحص كل رقم لديها مرة ثانية . يجب أن يكون هناك غلطة حمقاء في مكان ما .

وأخيراً وجدت الغلط في تقرير النفقات الصادر عن ماتيو . تراقصت الأرقام أمام عينيها ، وهمست لنفسها وهي تشعر بخيبة مريرة . آه منك يا ماتيو . الا تستطيع أن تتركني وشأني حتى وأنت بعيد . . . دفعت بالأوراق جانباً ووضعت رأسها بين يديها .

عاد ديفيد من كينيا الى غانا قبل اسبوع من موعد قدوم ماتيو . حاملاً معه لجاكلين الكثير من الهدايا كالقهوة ، والجبن ، وقطعة قماش وسجادة من جلد الدب لم تستطع جاكلين عندما رأتها أن تكتم دهشتها . فقالت بنفس متقطع :

ـ اوه ديفيد ما هذا ؟ لماذا جلبت كل هذا ؟

اشرق وجهه بالابتسام :

ـ بكل سرور . ان قطعة القماش رشوة كي تصنعي لنا فطيراً بالجبن مع بعض القهوة المنشطة ثم لتدعوني لتناول العشاء في وقت آخر طبعاً .

أمسكت جاكلين بالقماش كي ترى ألوانه الباهرة وأردفت :

ـ انه رائع يا ديفيد . . . لن اعثر على ما يماثله في الأسواق هنا .

فأجابها وهو يحاول أن يستفزها :

ـ يفصل بين غانا وكينيا قارة بأكملها .

حاولت جاهدة أن تلتزم الصمت فلم تفلح فأجابته :

- اعلم هذا ولكني أردت أن أبدي ملاحظة فقط .
ثم طوت قطعة القماش ووضعتها جانباً وسألته :
- هل اعد لك طعاماً . ليس لدي الكثير لان ثلاجتي لا تعمل هذه الأيام .
- لا . اشكرك . اتيت كي اصطحبك الى العشاء، وأحدثك عن رحلتي. لقد اصطدت ثلاثة أسود فطاردتها قبل ثم ابتلعتها الأحصنة.
أجابته وهي تستوعب تماماً هذه الطرفة :
- ولكنك نسيت الأفاعي . والقردة ، هزت رأسها وتابعت ، آسفة يا ديفيد ستجد هذه القصص المثيرة اهتماماً أكبر في الوطن حيث يتوفر لديك جمهور ساذج هناك .
- كم تفسدين متعتي .
- هل كينيا جميلة كما يقال ؟
- انها عظيمة وساحرة . نعم انها جميلة . حسّني من مظهرك قليلاً لنخرج .
تأخرت طائرة ماتيو . انتظرتها جاكلين بعصبية لم تشعر بها في أي وقت مضى . كان المطار مكتظاً وصاخباً وفوضوياً . والطقس حاراً ورطباً . حتى عندما وقفت خارجاً على شرفة المطار كي تشاهد الطائرة عن كثب لم تشعر بأي نسيم عليل .
حطت الطائرة أخيراً . حملقت جاكلين جاهدة في جميع المسافرين وهم يهبطون سلم الطائرة ، ومشت الى نهاية الممر . لم تر ماتيو. ترى أين هو اذن ؟
انتظرت حتى خرج آخر مسافر من قاعة الجمارك. استسلمت للأمر عندما وجدت ان المطار غدا مهجوراً. لم يأت . لم يكن على متن الطائرة، زمجر الاستياء في داخلها ، فعادت أدراجها الى سيارتها . تشعر بالهزيمة وهي حزينة . لن تأتي أية طائرة من نيويورك قبل الاسبوع المقبل .
مضت ليلتان وبينما كانت جاكلين تنعم بنوم هادىء ، سمعت قرعاً خفيفاً على مكيف هواء غرفتها وصوتاً يهمس :
- جاكي . . . افتحي لي . . . انا ماتيو .

وبسرعة بحثت عن عباءتها فلم تجدها . . . في الغسيل لا بأس . وركضت الى الباب وقلبها يقفز بين أضلعها .
- انني آسف اضطررت أن اوقظك . لكن مفتاحي ليس معي ، ولم اجد كروسي في المنزل .
تخطاها الى غرفة الجلوس . قالت له وهي تتوق ان تعانقه :
- لا تهتم لذلك .
لكنه تابع سيره دون أن يتوقف . مشى الى الباب الواصل الى غرفة الجلوس الرئيسية . ووضع حقيبته على أرض الغرفة بدون ان ينظر اليها مرة اخرى . تبعته الى الغرفة :
- من اين اتيت يا ماتيو ؟
- من لندن .
- لندن !
- اجل كان لدي مقابلة مع بعض رجال المصارف من اجل برنامج الاعتماد المالي ، تقرر الاجتماع في آخر لحظة ، ولم يكن لدي وقت لاعلمك بذلك . آسف لأنك ذهبت الى المطار يوم الثلاثاء بدون جدوى .
- لا يهم .
فرك عنقه وقال :
- يا الهي ما هذه السفرة ؟ كان المفروض أن اصل الى هنا قبل ساعات . ما ان حان وقت هبوط الطائرة حتى انقطعت الكهرباء . فاضطررنا الى العودة الى ابيدجان ، حيث مكثنا في مطارها ما يفوق الساعة الى أن اصلح التيار الكهربائي .
بدا مرهقاً .
- هل احضر لك شيئاً تأكله أو عصيراً تشربه ؟
قال وهي متأكدة انه لا يشعر بوجودها :
- لا اشكرك . اني بحاجة الى النوم فقط ، ما الأخبار هنا ؟
- حسنة . لم نواجه الكثير من المتاعب .
- سأستحم وأذهب الى الفراش . وسنتكلم في الغد .
أدار وجهه وذهب الى غرفته . جلست جاكلين على الأريكة لا تستطيع

الحراك . لم ينظر اليها . كم تمنت ان تتكر ما اصابها من خيبة مريرة . ماذا كانت تتوقع اذن ؟ حتماً لم تتوقع أن يعانقها ويضمها بعاطفة قوية . لم تشعر كم مضى من الوقت عندما عاد الى غرفة الجلوس مرتدياً قميصاً أبيض وسيراً جلدياً .

- هل ما زلت هنا ؟ ظننت انك عدت الى سريرك .

- ليس لدي رغبة في النوم .

خفق قلبها بشدة عندما جلس الى جانبها .

- وأنا كذلك . انعشني الحمام . شعرت بالحيوية الآن .

خلل اصابعه بين شعره وضحك :

- كنت في طريقي للمطبخ لأحضر كأساً من الشراب . هل تريدين كأساً منه ؟

- لا شكراً . لا يوجد لدينا شيء بارد .

- حسناً ، سأشرب قهوة . لقد أحضرت قطعة الثلاجة معي .

أحضر القهوة وقال :

- لم تحصل أية مأساة في غيابي اذن ؟

- لا . مرضت يشنس وغابت عن العمل لمدة اسبوع . تعطلت الثلاجة ، وتوقفت المكواة عن العمل . واستغرق تنظيم التقرير المالي ثلاثة ايام .

ولم تضف أن السبب في ذلك يعود الى خطأ ارتكبه هو .

- هل هذا كل شيء . اني متأكد انك لم تنسي شيئاً .

ضحك . فلم تستطع جاكلين النظر في عينيه . وبيد مرتجفة أمسكت فنجان قهوتها .

- هل انت بخير يا جاكي . ارى انك ترتجفين .

اخذ الفنجان من يدها وأمسك بوجهها ، ونظر اليها قائلاً :

- اخبريني هل هناك شيء ؟ هل حدث مكروه ؟

- لا . . . لا . . .

اجابته وقلبها يخفق بشدة حتى انها كانت واثقة من انه يسمعه ، انها مشتاقة اليه ، الى نظراته ولمساته . لم تستطع كبح جماح عواطفها فأغلقت عينيها

وقالت :

- عانقني يا ماثيو .

اتى صوتها هامساً . . . لم تستطع أن تقاوم عاطفتها تجاهه . انها بحاجة اليه . . . عانقته بذراعيها ، وعانقها بدوره بحب وشوق يعجز الخيال عن وصفها . انه بحاجة مماثلة اليها . لم تفكر بشيء سوى بموجات الحب والاشتياق الجامحة التي غدت كموجات الألم . دام انسجامهما لدقائق . وشعرت بيده تعانقها بحب ، وفجأة وبعنف وقسوة ومرارة أبعدها عنه . . .

- ماذا تظنين انك فاعلة ؟

اتت كلماته كالصاعقة فوق رأسها ، ودار العالم من حولها . . شعرت ان الألم يسحقها . . . تجمدت أوصالها . . . خافت من عاطفتها التي لا تقاوم . حلقت في وجهه فرأته قاسياً . وتلاشى الحب من نظراته لتصبح باردة وداكنة . كانت ترتعد ، وتشعر بالاشمئزاز من نفسها خجلاً . غصت الكلمات في حلقها . انها لا تستطيع أن تصلح الأمر الآن . أرادت أن تهرب . . . أن تموت . . . ان تدفن في التراب . وقف ينظر اليها من برجه العاجي قائلاً :

- اشكرك لهذا العرض . . . اشكرك لما قدمته لي . . . لكن لا . . . ليس لي الا ان اشكرك .

وغادر الغرفة .

٨ - لا . . . لا تخدعني

لم تعلم جاكلين كيف وصلت الى سريرها. كانت ترتجف من الاهانة، وكاد ضيق صدرها يمزقها. انهمرت دموعها بغزارة، وبللت وجنتيها الى ان استقرت على الوسادة. آه يا الهي! ماذا فعلت؟ وكيف حدث هذا؟ لا لن استطيع مقابلته بعد الآن. كان عليها ان تقابله، ولا تستطيع ان تتفاداه بطريقة أو بأخرى. . . ستقابله في المكتب. . . وفي المنزل. . . ليس بالأمر حيلة. أشارت الساعة الثالثة صباحاً. . . ولم تزل جاكلين منفعلة، وعصبية المزاج. حامت كلماته حول رأسها كالأشباح. . . أشكرك لهذه التقدمة. . . لكن لا. . . شكراً. ماذا كان يقصد؟ عادت كلماته مرة اخرى تقرع ناقوس أفكارها. هل يقصد ان الفتيات ذوات الاخلاق الفاضلة لا يتهافتن على الشبان هكذا؟ وهل لهذا علاقة بحسن التربية. انها

تحبه، وتسيطر جاذبيته عليها تماماً فلا تستطيع مقاومته. وبعد محاولات عديدة، داهمها نوم خفيف متقطع. . . ثم ما لبثت ان استيقظت وهي تشعر بالانهاك. سحبت نفسها من السرير، ونظرت الى وجهها في مرآة الحمام، بدا وجهها كئيباً بتأثير الدوائر التي ظهرت تحت عينيها، وتساءلت هل ستقابل ماثيو على مائدة الافطار؟ عكس وجهها توقعاتها بعصبية. وبشكل لا ارادي، جمعت قبضة يديها وبشدة وهمست لنفسها:

اخرجي اليه. . والقي عليه تحية الصباح. ثم اجلسي في الطرف المقابل له عبر المائدة. تناولي طعامك دون ان تتكلمي كثيراً. ارفعي رأسك عالياً، وانظري له وجهاً لوجه.

ترى هل تستطيع حقاً ان ترفع رأسها عالياً؟ كما تملي عليها افكارها؟ ليتها تستطيع. . . انها تريد ان تبقى تحت الملاءات، لئلا تراه ثانية. . . والى الأبد.

استحمت، وارتدت ملابسها باذلة المزيد من الجهد كي تخفي آثار حزنها، فوضعت كمية من مساحيق التجميل على وجهها. بينما بدأت معدتها تتقلص حتى شعرت انها استحالت عقداً. بدأت قدماها ترتجفان وهي تفتح الباب المؤدي الى الغرفة الرئيسية. لم يكن ماثيو موجوداً. وكان كوبيسي في المطبخ منهمكاً بقلي البيض فسألته:

- هل شاهدت السيد سيموتز؟

نظر كوبيسي اليها بارتباك وقال:

- وهل عاد السيد سيموتز؟

لم يكن كوبيسي على علم بعودة سيموتز اثناء الليل. ومن الطبيعي ان ماثيو لم ينهض باكراً كالمعتاد بعد ان عاد منهكاً من لندن. تنهدت بارتياح وهمست لنفسها:

اذن سيتأجل لقاؤنا حتى وقت آخر من هذا اليوم.

دخل ماثيو المكتب بعد عدة ساعات أنيقاً ونظيفاً بدون ان تبدو عليه امارات التعب، فقفز قلبها عندما رآه، وتنشقت رائحة عطره ثم قال ببرود وهدوء:

- صباح الخير. ان بريدي مليء بالاوراق، ولا ادري كيف ارتبه، فهل

لك ان تساعديني لنسجل الاولويات.
ـ سألحق بك خلال دقيقة. هل تريد بعض القهوة؟
ـ نعم من فضلك.

انها علاقة عمل بينهما... لم تعلم جاكلين كيف استطاعت الاحتفاظ برباطة جأشها. نظرت اليه وكلمته، وكأن شيئاً لم يكن. ولكنها نجحت مهما كانت الطريقة التي اتبعتها.

مضت الأسابيع تباعاً، وجاكلين مرهقة كئيبة. تعمل بنشاط كبير محاولة الا تفكر بشيء خاص، حتى بدت كالمخدرين، لا تعي شيئاً مما حولها، فقد كانت هذه الطريقة الوحيدة التي جعلتها قادرة على التلاؤم مع الحياة من جديد.

كانا يلتزمان الصمت، او يتكلمان عن اشياء تافهة، كلما جلسا الى المائدة. لم يلحظ ماتيو ان تصرفات جاكلين قد تبدلت. ولربما اراد ذلك.

غدت تصرفاتها كتصرفات الغرباء. ليس لأحدهما علاقة بالآخر. يبدو ان هذا الحاجز سيبقى صامداً بينهما. لكن جاكلين بدأت تشعر بفراغ عاطفي كبير وكأنها من عداد الأموات. كم من مرة اجتاحتها موجات ألم نفسي حاد، عندما كانت تختلس النظر الى أصابعه القوية ذات اللون الغامق وهو يوقع الرسائل، والى شعره الملتف حول أذنيه. انها لا تكرهه وعلى يقين من ذلك. ولا تستطيع بأي حال من الأحوال ان تكرهه. يا الهي! ما الذي انتابها في تلك الليلة عندما عاد من لندن؟ ما الذي جعلها تتأمل، او تظن انه يكن لها الاحساس نفسه.

انه الحب! تلك الكلمة التي حلمت بها كما تحلم الفتيات الصغيرات بأمسيات، حالمة في ضوء القمر. قبلات وورود ولمسات شاعرية في الظلام.

امتلأت احلامها في النهار بصورة الفرسان المدرعين، والامراء الانيقين... ثم تتابعت احلامها لتستقر على رجل يصبح شريكاً لها، رجل يحبها ويحترمها لا لجمال شعرها الأشقر، وعينيها الزرقاوين، رجل يدخل أعماق نفسها ليرى ما فيها فيقدرها.

ـ انني أعرفك جيداً.

لقد همس ماتيو هذه الجملة وهما يتناولان طعام العشاء في أمسية عيد ميلادها. ولكن ما الذي يعرفه اذن؟ انه يعرف انها عاملة مجدة، لكنه لا يعرف انها امرأة، ولم يشر الى هذا لأن انوثتها لم تثره. اذن لماذا عانقها بعطف وحنان؟

اخذ اضطراب جاكلين بالازدياد، كلما فكرت بالأمر، وماذا يلزم منها؟

لم تكن واثقة من شيء سوى حبها لماتيو انه الشيء الوحيد الذي لن يتغير. احبته، ولكنها لا تستطيع ان تفهم خيبة أملها، انه الرجل الذي تريده، وتريد ان تشاركه حياته.

ان حماس ماتيو لعمله، واهتمامه بالذين حوله، كانا دوماً مصدر اعجابها. انه يكافح ويناضل ليساعد الناس. انه رجل حنون. بل انه رجل بكل ما في هذه الكلمة من معنى. لقد أيقظ في داخلها احساساً لم يشعرها به احد من قبل، وأيقظت لمساته مشاعرها الدفينة التي اخذت تزمجر في داخلها طالبة المزيد من الحب. انها تشعر بحبها يزحف في داخلها كالألم العميق، اغمضت عينيها طاردة جميع الافكار الاخرى من رأسها... يجب ان تعتاد الحياة بلا ماتيو، وبلا حبه.

دعاهما ديفيد الى حفل في منزله. وحاول ان يتكلم مع جاكلين عندما شعر ان حزناً ما يلوح في الأفق. وبعد ان غادر الضيوف منزله، قال لها:

ـ لن تستطيعي يا جاكي ان تقنعيني بان شيئاً لم يحدث. فأنا واثق ان هناك شيئاً ما قد حصل والا لما ظهرت وكأن الحياة قد سلبت منك.

اجابته بصوت حزين:
ـ لا استطيع ان اتكلم عما يؤرقني يا ديفيد؟
ـ لا تنسي انني صديقك.
ـ انا... انا... سحقها حزن مفاجيء، فارتعش صوتها، وتلاشت رباطة جأشها، حام وجه ماتيو حول ناظريها... وكأن صوته جاءها من مكان بعيد: انك جميلة يا جاكي.. انك جميلة بشكل خاص، شعرت بذراعيه حولها.

لم تكن تلك ذراعي ماتيو. . . بل ذراعي ديفيد. همس: جاكي جاكي ضمها اليه وهو يمسح شعرها بيده.

صرخت اعماقها. . . لن ابكي. . . لا لن ابكي، فضغطت على حنجرتها، لتحبس صوتها فآلمتها، واحترقت الدموع في مقلتيها.

وبعد لحظات هدأت، ورأسها فوق كتف ديفيد، ومع انها ادركت انها لا ينبغي ان تفعل ذلك، لكنها لم تهتم. اخيراً رفعت رأسها وقالت:

- آسفة يا ديفيد.

- لا تعتذري يا جاكي، ابعد شعرها عن وجهها، وانحنى يعانقها فلم تقاوم.

ليته كان ماتيو. . . لا لم يكن ماتيو من يعانقها. . . انه ديفيد، ديفيد الذي كان وما زال لطيفاً ودوداً دائماً. وهو صديقها ويفهمها جيداً. ليتها تحبه لانتهى الأمر بكل بساطة. ولكنها لا تحبه كما ينبغي ان تحب المرأة الرجل. ابتعدت عنه وقالت:

- يجب ان اذهب الى المنزل.

- لماذا لا تبقين هنا يا جاكي؟

انتابتها موجة اغراء ما لبثت ان زالت: نعم لم لا أبقى! لا يوجد عدد كثير من الرجال ممن لهم صفات ديفيد. سيكون لطيفاً وأنيساً كما انه يستلطفها وهي كذلك.

لا ان هذا لا يكفي. انها ليست بحاجة الى هذا الآن فردت مبتسمة:

- لا استطيع يا ديفيد. ليس من اللائق ان ابقى.

- انك اعند امرأة التقيت بها في حياتي، هز رأسه، تعالي سأقودك الى المنزل.

وفي سكون الليل، وما ان جلست في السيارة الى جانب ديفيد، حتى انتابها شعور بأن شيئاً ما سيحدث. لن تستطيع جاكلين الاستمرار هكذا، وهي تشعر بخواء عاطفي في نفسها.

اوصلها ديفيد الى البوابة الكبيرة، طبع قبلة على خدها، وتمنى لها ليلة سعيدة.

اغلق على الباب وراءها. وما ان وصلت الى غرفتها، حتى وجدت

الباب المؤدي الى حجرة الجلوس مفتوحاً على مصراعيه. كان ماتيو واقفاً امام الباب كالبرج يحملق فيها. . . وفجأة شحن الجو بالتوتر. وساد الصمت. بدد غضبه السكون، وقال بلهجة عنيفة وكأنما صفع جاكلين على وجهها:

- اين كنت حتى هذا الوقت من الليل؟

نظرت اليه محاولة ان تهدىء من روعها:

- لا علاقة لك بهذا.

اجابها وهو يتأملها بازدراء من رأسها حتى اخمص قدميها:

- استطيع ان اخمن بنفسي. وتابع وهو ينظر الى ثوبها، واقراطها المتدلية من اذنيها، الساعة الثانية من صباح يوم الاربعاء. هل تعلمين هذا؟ هل كنت تسحرين احداً؟ ام تتعشين معه مرة اخرى؟

جفلت جاكلين لدى سماعها صوته المزمجر:

- اذا كنت تسمح لي فانني سأدخل غرفتي لأنام.

وما ان خطت نحو غرفة نومها، حتى وقفت مذعورة ومتسمرة في مكانها، فقد شعرت بيده القوية تقبض بشدة على ذراعها. حاولت ان تتحرر منه فلم تستطع فصرخت:

- اتركني.

تفجر الغضب في وجه كل منهما، وشحن الجو بينهما بمزيد من التوتر الغاضب، وتطاير الشرر، فقال وهو يضبط صوته:

- أتتك مخابرة هاتفية الساعة الواحدة ليلاً، ذهبت لأوقظك فلم اجدك في سريرك.

اعتراها خوف مفاجىء. . . مخابرة بعد منتصف الليل. لا بد ان هناك كارثة. . . مخابرة من أميركا. . . هل أصاب والداها ام جدتها اي مكروه؟ فسألته:

- ومن كان المتكلم؟

- لا أعلم. لم يعطني الاسم. اعتقد انه احد اصدقائك الشباب المتوهجين.

وعندما وصلت لأرفع السماعة كان قد غير رأيه، وأقفل الخط.

سرت في اوصالها الراحة. . . لو كانت مخابرة دولية لأدرك ذلك.
- آسفة لازعاجك في مثل ذلك الوقت.
- ليست المسألة مسألة ازعاج. المشكلة الحقيقية هي انك لم تكوني في فراشك، وقد تجاوزت الساعة الواحدة ليلاً. ظننت انك مطروحة في احدى القنوات تعانين من سكرات الموت، او دهسك احد سائقي سيارات الأجرة المجانين. لا تستطيعين ان تتصوري بماذا كنت افكر.

لا. . . لم تستطع جاكلين ان تشاركه مخاوفه، لأن هناك اماكن اخرى من الممكن ان يكون قد فكر فيها كبيت ديفيد مثلاً.

ردت جاكلين ببرود:
- انني مسرورة من اعماقي لاهتمامك هذا. . . دعني أنام الآن.

ودون ان يتفوه بكلمة، ادار ظهره وخرج صافعاً الباب وراءه، فدوى صوته في انحاء المنزل.

جلست جاكلين على الشرفة، تحاول ان تقرأ كتاباً بعد ظهر احد الأيام من منتصف تشرين الثاني. لم يجذبها الكتاب، بل سرحت تتأمل الازهار، والوان الحديقة الخضراء المتعددة. كم تحب هذا المكان، وان فقد كل شيء ضياءه وبريقه هذه الأيام.

امضت جاكلين ايامها التالية، وكأنها لعبة اوتوماتيكية تحاول الا تشعر، او تفكر، انما تقوم بالاعمال الواجب تأديتها دون اي اهتمام. ولكن ما ان تخلد الى هدوئها، وتعود الى نفسها في مثل هذه اللحظات، حتى كانت الاسئلة تطاردها كالأشباح. لماذا احبت ماتيو؟ ولم لا تحد من تفكيرها به وتنساه؟ ان الحب يضفي اشراقة على حياة المحب، ويجعله يتوهج سعادة. لكنها مع الأسف لا تشعر بهذا. اجل. للحب حلاوة ولكن ليس في جميع الاحوال. ان حبها حزين، ويملأ نفسها الماً. فكلما شاهدت ماتيو او سمعت صوته، او فكرت به، تشعر بالحزن العميق فمتى ستتخلص من هذا الشعور؟

طقطقت دجاجات كويسي في الخارج، واخذت تتطاير لتقف على الجدار الذي يفصل حديقتها عن حديقة الجيران. سمعت صوتاً بعيداً، وما لبث سيارة ديفيد ان وقفت عند البوابة الكبيرة. نظر اليها بتكشيرة

عريضة، وشعره الاشقر يتلألأ. بدا رائعاً بلباس الجينز والحذاء البلاستيكي.
- مرحباً يا حلوة، هل انت مشغولة؟
- لست مشغولة. اجلس هل تريد شراباً بارداً ام قهوة؟
- أفضل شاياً مثلجاً من فضلك.

قفزت جاكلين بسرعة الى المطبخ حيث جلبت الابريق والكؤوس وفاجأها قائلاً:
- لدي اخبار سارة اريد ان ازفها لك. فانت اول انسان يجب ان يعلم بها.
- اخبرني. اخبرني، اجابت بحماس.
- لقد نلت ترقية في عملي، وسيرسلونني الى الفيليبين.

حلقت في وجهه وقالت:
- الفيليبين؟
- نعم يا جاكلين. سأغادر في الشهر المقبل.
- أوه يا ديفيد!
- ألست فرحة من أجلي؟
- نعم. ولكنني سأفتقدك.
- وأنا ايضاً يا جاكي.

حدقا ببعضهما بعضاً، انهما يعنيان ذلك، وبصوت منخفض سألته:
- ما بك يا ديفيد؟

نظر اليها نظرة طويلة وأجاب:
- لا، لا شيء يا جاكي. لم نحصل معاً على ما نريد.
- ليتنا استطعنا.
- يا ليت.
- كم تمنيت ان احبك بدوري، واذهب معك الى الفيليبين و. . .

حانت حفلات الوداع، ودعيت جاكلين وماتيو الى معظمها، فكان كل منهما يذهب بسيارته وحيداً ويعود كذلك. أقامت ليزا في منزلها حفلاً

لتشكرياً، دعيت جاكلين اليه، في حين لم تعلم جاكلين عن ماتيو شيئاً، واين امضى ذاك المساء.

أقام احد اصدقاء ديفيد حفلاً في بيته الريفي على الشاطىء. كان كريماً اذ انار الشاطىء بمصابيح على البطارية. وقدم طعاماً فرنسياً باهظ التكاليف، احضره من توغو. امتلأ الشاطىء بالرقصات والأنغام الموسيقية. وقد احضر بعض المدعوين ملابس السباحة، وقفزوا فوق الامواج يسبحون ويمرحون. ارتدت جاكلين ثوب سباحتها . . . وقفزت في البحر بتردد. . . انها لا تحب ان تسبح ليلاً، فقد كان الظلام حالكاً، والتيارات شديدة. لم تستمتع بالحفل، لأنها لا تعرف معظم المدعوين. ولم تكن لديها الرغبة لتتعرف على أحد منهم. بل لم تكن لديها الرغبة في ان تفعل شيئاً في الآونة الأخيرة.

ابتعدت عن الناس والأضواء والضحكات، وجلست وحدها بعيدة على زند شجرة قرب مياه الشاطىء. لم تستطع الابتعاد اكثر، فقد كان الظلام شديداً، وهي منهكة القوى.

كانت تنظر الى أفق البحر الأسود كالمخدرين، وتستمع الى صوت ارتطام الأمواج العالي على الشاطىء. وتنظر الى زبد الموج المتلألىء تحت أشعة القمر.

احست فجأة ان احداً يقترب منها. . . ولم تتعرف اليه الاّ عندما لاح خياله الطويل، ووقف محيياً أمامها كالبرج.

ـ جاكلين؟

ـ ماتيو. امتزج الألم مع دقات قلبها المتسارعة. لماذا الرعشة والخوف؟ مم تخافين؟ انه ماتيو. . . همست ماتيو.

جلس الى جانبها على زند الشجرة وقال:

ـ اريد ان اتحدث اليك يا جاكي.

ـ لا اريد. . انني هنا في حفل وأود الاستمتاع به.

ـ ليس الحديث عن العمل. . . ليذهب العمل الى الجحيم.

لم تجبه، بل تقلصت كل عروقها، واخذ قلبها ككرة الطاولة يقفز بجنون من مكان لآخر.

ـ لم تنظري الي، ولم تكلميني منذ أسابيع. لم استطع الانفراد بك، فاحياناً يعترضني كويسي، واخرى بيشنس، او اي شخص آخر.

ـ لا اريد ان اكون وحدي معك. لم تشعر ان صوتها ممتلىء بالخوف، وبدا الغضب واضحاً في كلماتها.

ـ لكني اريد ان اكون وحيداً معك.

أمسك بكتفيها، وجذبها اليه بعنف. تسللت يداه حولها، وقبل ان تدرك ما حدث كان يعانقها بعنف. كانت تشعر به. يقترب منها، فاجتاحتها موجة من الذعر. لن تدع المأساة تتكرر. . لا لن تدعها. . ابعدت وجهها عنه بعنف وقالت:

ـ لا تلمسني. . لا تلمسني أبداً بعد الآن.

لكن زراعيه طوقتاها بشدة ولم يدعها تذهب.

تدفقت ذكريات تلك الليلة في ذهنها عندما عاد من لندن، وحز في نفسها الذل الذي عانته. لم تشعر به وكأن كل احساس تجاهه قد اختفى فجأة. ولم يبق لديها الاّ الألم والمرارة، التي شعرت بها في تلك الليلة، والهيستريا التي أخذت تتصاعد في اعماقها لدى كل لمسة من لمساته. لا انها لا تريد أن يلمسها. . انها لا تريد صرخت:

ـ دعني اذهب دعني.

حاولت ان تحطم اغلاله. لكنه امسكها بعنف وكأن ذراعيه طوق من حديد، وكلما حاولت الابتعاد عنه، كلما ضمها اليه بعنف اشد.

ـ اهدأي يا جاكي اهدأي.

امسك بكتفيها، واخذ يهزها بعنف. سرت رجفات غريبة في اوصالها، وادركت انها كانت تشهق. ولم تستطع ان تكبح جماح نفسها. كان البحر يزمجر في اذنيها، وبمحاولة يائسة اخيرة استطاعت ان تحرر نفسها او انه تركها. وبخطوات متعثرة هربت منه تتلمس طريقها في الظلام عائدة الى البيت. فتحت الأبواب، فوجدت غرفة نوم، رمت نفسها فوق احد الاسرة تشهق بحركات لا ارادية. وما ان مضت لحظات، حتى كان ديفيد يقف الى جانبها والقلق باد على وجهه.

ـ جاكي بحق السماء ماذا حصل؟

- لا شيء؟
وأشاحت بوجهها عنه.
- لا شيء... اتركني وحدي رجاء.
- لقد دخلت الغرفة وأنت تبكين، كأن العالم قد انتهى، وتقولين ليس هناك شيء.
قرب المصباح الموجود على المنضدة منها حتى يراها بوضوح اكثر.
- ما هذا؟
لمست اصابعه ظهرها. كانت لمسات ماتيو واضحة. وتحت نظراته الفاحصة شعرت جاكلين انها بثوب السباحة.
- لا شيء... لا شيء.
- هل حاول احد ان... جاكي اخبريني.
- لا.. لا.. ليس كما تتخيل ليس شيء من هذا القبيل يا ديفيد.
سمعا طرقاً خفيفاً على الباب فاستوت جاكلين في جلستها.
- لا تدعه يدخل يا ديفيد... لا تدعه.
خرج ديفيد من الغرفة في اللحظة نفسها. سمعت أصواتاً عالية ومضطربة ثم غدت خافتة الى ان تلاشت. لم تسمع كلمة واحدة مما قيل. اضطجعت بظهرها على الوسادة وهي تشعر بتقلص في جسمها. بدا الوقت طويلاً قبل ان يعود ديفيد وحده الى الغرفة.
قدم لها كوباً من العصير المثلج. اخذت تشربه ببطء دون ان تنظر اليه.
- هل كان ماتيو بالباب هنا؟
ساد صمت قبل ان يجيبها:
- أجل انه ماتيو.
- لم يحدث ما تخيلت يا ديفيد.
- لا. انني اعلم.
لن يخبرها ديفيد عن حديثه مع ماتيو. ولكن الأمر لا يهمها. أنعشها العصير، وهدأ من روعها، فتركها ديفيد كي تعود الى الحفل. اطفأت المصباح، وحدقت في الظلام، فلم تر الا عقدة الناموسية التي اضاءها ديفيد. كانت اصوات الموسيقى، وضحكات الحضور تتهادى اليها عبر

النافذة على اجنحة النسيم.
فكرت ملياً واخذت تخطط ماذا ستفعل:
يجب ان اذهب... لن احتمل اكثر من ذلك، يجب ان اغادر هذا البلد، واطلب نقلي الى بلد آخر. لا استطيع العيش هنا.
عاد ديفيد بعد حوالي الساعة الى غرفتها، وقد جلب لها ملابسها. وقال سأصطحبك الى المنزل فقد حان وقت العودة. هزت رأسها.
- لا لقد اتيت باحدى سيارات المكتب وسأعود بها. لم آت مع ماتيو.
- ستأتين الآن معي، وسنعيدها يوم غد الاحد.
خرج ليتيح لها المجال كي ترتدي ملابسها.
لم يتفوه بكلمة اثناء الطريق الطويل الى المنزل. سافر ديفيد في الاسبوع الذي سبق عيد الميلاد الى أميركا واعداً اياها ان يزور والديها. كم تمنت ان تذهب هي ايضاً. كي تبعد عن اكرا وعن ماتيو. لم تعلم كيف ستمضي الأسابيع المقبلة ريثما يوافق مكتب نيويورك على نقلها، ويرسل لها اشعارا بذلك حيث ستخبر ماتيو.
حان وقت رياح الهارمتان.. وهي رياح شمالية شرقية تهب على افريقيا. فتكتسو السماء برداء من الغبار الرمادي الصفر تحجب الشمس. وتزيد في ارتفاع الحرارة. اصبحت جاكلين متألمة من انفها وفمها من الغبار. لم يغير هذا الجو الكئيب من حالة جاكلين النفسية. الا ان الشمس بدت بشحوبها وكآبتها تشبه حياة جاكلين الى حد كبير.
أقامت عائلة تورنر بمناسبة الاحتفال بعيد الميلاد حفل عشاء. احضروا له ديك حبش من كينيا. ساعدت جاكلين ليزا بتحضير المستلزمات. وبينما كانت ليزا وجاكلين تعملان بالمطبخ سألتها ليزا:
- اعلم انه ليس من شأني ان اسألك عن هذا التغيير الذي طرأ عليك؟
- انه الهارمتان الا تعلمين تأثيره في الناس، قالت جاكلين ببساطة، انه يغير من نفسيات الناس فيصبحون كالمجانين.
نظرت ليزا اليها وقالت:
- انظري الى نفسك. لقد نقص وزنك. كما انك تبدين تعسة، ومنغلقة على نفسك كصدفة البطلينوس. ماذا حصل بينك وبين ماتيو يا جاكي؟

لم تقل جاكلين اية كلمة، بل اخذت تحملق بغباء في علبة الزعتر التي بين يديها، وفجأة قفز شيء ما بداخلها وتدفقت كلماتها:

- آه يا ليزا، ليس كل شيء على ما يرام. . . لقد كنت غبية جداً. وقررت ان اترك هذا البلد. لم اعد احتمل اكثر من هذا. يجب ان ارحل.

افلتت عما يدور في اعماقها. ها هي قد اخبرتها بما قررت، لا بأس فليزا صديقتها. سألتها ليزا وقد هوت يدها على المنضدة الطويلة.

- انت. . . ماذا؟

- سأقدم استقالتي.

- لماذا؟

- لأني لا أحتمل وجود ماثيو حولي اكثر من هذا. انه لا يريدني. كان الشهران الماضيان مزعجين للغاية. اننا لا ننسجم ونتشاجر بصورة مستمرة.

ترقرقت الدموع في عينيها ثم انسابت فوق وجنتيها:

- انك تحبينه يا جاكي.

- اعلم، اعلم ذلك لكنه لا يريدني.

وضعت ليزا يدها فوق كتفي جاكلين، وسحبتها باتجاه غرفة الجلوس قائلة:

- تعالي نجلس، اخبريني ما حدث.

- انه يظن بأنني فتاة رخيصة.

- ولماذا يظن ذلك؟

- حسناً. آه يا ليزا. . . ماذا اخبرك؟ شيء مخيف انني محرجة تماماً.

- اخبريني ما هنالك.

اخبرت جاكلين ليزا بما يؤرقها. تدفقت الكلمات واحدة تلو الأخرى. كانت جاكلين تنظر الى الأزهار وهي تحدث ليزا، دون ان تنظر اليها. وبعد ان انهت جاكلين حديثها قالت ليزا:

- الافضل ان تخبري ماثيو انك تودين ان تغادري اكرا.

لم تلاحظ جاكلين انها جمعت قبضة يدها. كانت صورته تلوح أمامها. عضت شفتها وهزت رأسها بيأس:

- لن اخبره حتى يأتي الاشعار من المكتب من نيويورك.

لم يلق طلب جاكلين بالنقل من غانا الى النيجر اي حماس لدى المسؤولين في نيويورك.

ارتجفت يدا جاكلين وهي تتابع قراءة الرسالة.

- اننا بحاجة اليك في غانا لأنك تقومين بعملك بشكل ممتاز ولا نريد ان نخسرك هنا.

ومع انها تعلم هذا الا انها تمنت لو نظروا الى الامر بشكل جدي. وبينما كانت تتابع القراءة لاحت الموافقة بين السطور:

وبما ان البرنامج في النيجر اتسع بشكل يثير الاهتمام في العام الماضي. فاننا بحاجة الى موظفين آخرين. ونظراً لأن جاكلين تتمتع بخبرة اكتسبتها في غانا، ونظراً لأنها تجيد الفرنسية، فانها بالتأكيد تستطيع ان تملأ الشاغر.

- ولكن رجاء، مضت الرسالة تقول، هل تعيدين النظر في طلبك؟ لأن تدريب شخص آخر في مكانك سيضيف عبئاً اضافياً فوق كاهل السيد سيمونز.

انني لا اهتم فكرت جاكلين بمرارة. ليتعذب قليلاً. فانه يستحق ذلك.

ثم تابعت الرسالة:

- اننا لا نعلم المشكلة التي تواجهينها هنا ولكن ان كان حلها بأيدينا، فالرجاء ان تعلمينا بذلك.

حسناً. انهم لا يستطيعون حل مشكلتها هنا. ولكنهم يستطيعون توظيفها في النيجر. وسينقلونها الى هناك، ان لم تغير رأيها. هذا كل ما كانت تتمنى ان تعرفه.

اعادت الرسالة الى المغلف، وتنفست الصعداء.

يجب ان تخبر ماثيو الآن. خالجها شعور بالاضطراب والدفء وعندما فكرت به. لا لن تخبره الآن وقد تفعل بعد الظهر. ان ماثيو يقضي نهاره في مشروع التماح، ولن يعود قبل السابعة او الثامنة مساء.

تناولت عشاءها مبكرة، ثم جلست في غرفة الجلوس تقرأ كتاباً، وترشف فنجاناً من القهوة. لم تستطع ان تقرأ. كانت مضطربة وعصبية المزاج، وكلما سمعت صوت سيارة عند المنعطف زادت خلجات قلبها.

وبينما كانت تفكر ادركت فجأة وبوضوح ان هذه ستكون النهاية. ان ذهابها للنيجر سيضع حداً لكل هذا. سيخمد بصيص الأمل الذي اخذت ترعاه بين حناياها. سيخرج ماتيو من حياتها ولن تراه ثانية. ولكنها ستستمع الى إخباره عن طريق الشركة.

تصورت نفسها في النيجر... في مدينة جديدة.. ومكتب جديد، ورئيس جديد وبداية جديدة. لن اكون سعيدة. تملكها شعور غريب سأرثي نفسي وأبكي لفترة. ولحسن حظي فان الدموع تجف بسرعة في هذا المناخ الصحراوي. حاولت ان تسلي نفسها بالقاء هذه النكتة. ليس هذا مضحكاً، ستعاني كثيراً من الوحدة لا داعي للقلق. لن تكون الظروف التي ستواجهها هناك اسوأ من هذا الوضع، والتي استطاعت ان تتكيف معه. كثيراً ما حلمت بالصحراء. فها هي الفرصة مؤاتية لتحقيق حلمها. ان نيجيريا صحراء، فيها الكثير من الرمال والجمال. ولكن مهما حاولت اقناع نفسها ودعم معنوياتها، فانها ليست متحمسة في اعماقها لتكسب خبرات جديدة. تلاشت رغبتها في المغامرات المثيرة. لم يعد يثيرها شيء بلا حب.

عاد ماتيو مساء وقررت ان تخبره صباح اليوم التالي. ولكنها خشيت ان يغدو الامر اصعب. على الاقل ستترك له فرصة يتناول طعامه اولاً. وعندما دخلت غرفة الجلوس الرئيسية وجدته جالساً الى منضدة الطعام، وأمامه العديد من الأوراق المنتشرة، كان مستغرقاً في عمله فلم ينتبه لوجودها. كانت أصوات الموسيقى مختلطة بأصوات صرصار الليل تتداعى الى آذانها من النافذة المفتوحة. خفق قلبها بشدة. تنفست بعمق محاولة ان تهدىء من انفعالها:

- اريد ان اكلمك يا ماتيو.

رفع رأسه عن اوراقه بلا تردد:

- نعم ما الأمر؟

حل القلق مكان العصبية ونظرت اليه بتحد.

- اني اقدم استقالتي. لقد طلبت نقلي وقد تقرر ايفادي الى النيجر.

أعقب كلماتها سكون مميت. لم تتأكد من معنى ملامحه المنعكسة على

وجهه تكذيب ام دهشة، غضب ام خوف الى ان انفجر صارخاً:

- انت ماذا.

ارتجفت من عنف لهجته.

- هل سمعتني؟ آمل ان تكون مسروراً الآن. لم ترغب في وجودي في وقت من الأوقات وها انذا اغادر المكان.

- لا لن تلعبي.

شحن الجو بينهما بموجة كهربائية من التوتر. نظر احدهما في وجه الآخر بغضب واحباط.

لم تكن تتوقع ردود فعله هذه، كانت تفكر بمرارة انه سيتصرف دائماً بالطريقة نفسها.

نصب ماتيو ظهره وقال:

- هل لي ان اسألك لماذا؟

- من أجلنا نحن الاثنين.

- نحن!

اجابته وثورتها عارمة، وقدماها ترتجفان:

- نعم انت وانا... اننا لا ننسجم، ولا نتفاهم. بل اننا نتشاجر دوماً وهذا ما يتلف اعصابي. ليس في نيتي ان اصاب بمرض عصبي بسببك. انك لا ترغب بي، وبامكانك ان تجد من يحل مكاني: لست فريدة من نوعي. ولكنني صاحبة كبرياء واباء.

أجابها بصوت هادىء وغريب:

- انني لا أوافق على مغادرتك.

تنفست جاكلين بعمق:

- اعطني سبباً معقولاً يستوجب بقائي.

جاء صوتها عالياً ومضرجاً بالغضب، وقدماها لا زالتا ترتجفان. بدا كل شيء ساكناً للحظة. والتقت نظراته الغامضة والداكنة بنظراتها، وهمس:

- لأني احبك...

دار العالم من حولها، ولم تصدق ما سمعت. لا لن يفعل ذلك... لن يلعب تلك اللعبة القذرة مستغلاً عواطفها ليجبرها على البقاء. شعرت

بدوار.
تراقص كل شيء امام ناظريها. فحاولت ان تمسك بأحد الكراسي. هدأت من نفسها ونظرت في عينيه:
- لا يا ماتيو. لا. لا تخدعني.

٩- بين أحضان الكبرياء

أعطته ظهرها. وركضت خارجة من المنزل. تخطت علي وانطلقت في سيارتها كالمغشي عليه لا تدرك ماذا تفعل. لا تدري الى أين تذهب. كان جل همها ان تبعد عن ماتيو وعن المنزل، وعن الحقيقة المدمرة. لقد سخر منها، ومن عواطفها الصادقة فأصابها بخيبة أمل. لم يكن ماتيو ذاك الانسان الذي تخيلته.

ضغطت بقوة على عجلة القيادة. ان كل ما يهمه هو ان تستمر في عملها، لأنه سيصاب بالصداع فيما لو استلم أحد ما عملها. تذكرت أقواله: لن أتخلى عنك ولو كلفني ذلك العالم بأسره. عادت تلك الكلمات تقرع مخيلتها. أجل لقد أخبرها بهذه الحقيقة يوم عيد ميلادها. ليست غبية لتلك الدرجة حتى ترضخ، لن تفسح له المجال ليتلاعب بها، ويستغلها

كيفما يشاء.

ليس من الحكمة ان تقود سيارتها، والدموع تعمي ناظريها. قد تدهس أحداً ما، يجب ان تأوي الى أي مكان، وان تتحدث الى أي شخص. ليس أمامها خيار ستذهب الى ليزا... ولحسن حظها وجدت ليزا بالمنزل.

ارتمت جاكلين فوق الأريكة، وهي تجمع قبضة يديها بعصبية، محاولة ان تهدىء من انفعالها. سألتها ليزا بصوت مفعم بالاضطراب:

- جاكي. ماذا حدث؟

لكن جاكي لم تتكلم... وكأن أحداً أقفل فمها دون ان تجد الكلمات سبيلا.

كسا الغموض وجه ليزا. اما جون فقد دس في يد جاكلين كأساً من العصير.

وقال:

- اشربي العصير. لا تتكلمي.

أخذت تشرب العصير ببطء، وهي تشعر بالهدوء الذي بدأ يزحف في أوصالها. لاحظت ان جون ترك الغرفة، لتبقى وحدها مع ليزا التي سألتها:

- هل تريدين ان تتكلمي عما يضايقك.

- نعم. نعم أعتقد هذا.

- لا تبدأي من الأول... تابعي لي ما حدث. أخبرته انك ستستقيلين أليس كذلك؟

- نعم.

أردفت ليزا:

- ولم يبد أي حماس لهذه الفكرة.

- لا، بلعت جاكلين لعابها، كيف عرفت؟

ابتسمت ليزا وقالت:

- مجرد احساس. هل أخبرك لماذا؟

هزت جاكلين رأسها بيأس، وهي تشد قبضة يديها بعنف. وبدأت الدموع تتراقص في مقلتيها:

- قال انه لا يريدني ان أغادر أكرا لأنه... لأنه يحبني، أغمضت عينيها، انه يستغلني يا ليزا. لأنه يعلم شعوري نحوه. لقد اكتشف ذلك وها هو الآن ينتهز الفرصة.

- منذ فترة مضت أخبرتني يا جاكي بنفسك انه ينظر اليك كفتاة مستهترة أليس كذلك؟

دفنت جاكلين وجهها بين يديها وقالت:

- لا أعلم يا ليزا... لا أعلم. لم أعد أفهم شيئاً. انه يتصرف بشكل غريب معظم الأحيان اني لا أعلم أبداً ماذا يقصد.

كانت دموعها تتناثر فوق أصابعها... لاحت صور ماثيو امام ناظريها... فبدا لها تارة قاسياً وغاضباً، وأخرى صديقاً مبتسماً.

ضحك منها عدة مرات ليغيظها. واحتقرها كثيراً في تلك الليلة المخيفة من تشرين الأول، حتى انها تشعر بصفعته المعنوية، اذ سمعت كلمات لم تسمعها طوال حياتها: ماذا تظنين انك فاعلة؟ أشكرك لهذا العرض... لكن لا أريد... ليس عليّ الا ان أشكرك.

ما زالت كلماته تؤلمها، وستبقى أليمة دائماً وأبداً. لن تنساها ما دامت حية.

ولكن. لا... لقد مرت أيام حلوة معه. عندما كان يغيظها دون حقد. ويبتسم في وجهها. ويأخذها بين ذراعيه... ويعانقها... لقد قدم لها أقراطاً ذهبية ليشكرها على لطفها. بدا مخلصاً. انها واثقة من ذلك. لقد تغير كل شيء الآن. لماذا انقلب كل هذا ليلة عودته من لندن رأساً على عقب؟

رفعت عينيها ونظرت في وجه ليزا:

- لا أعلم يا ليزا... فكل شيء حولي يوحي بالفوضى. لقد فكرت ملياً. ولكنني لم أفهم ما تعنيه كل هذه الفوضى.

أجابت ليزا:

- هل فكرت يا جاكلين ولو لمرة واحدة انه يعني ما يقول؟ وانه أخبرك الليلة بصدق عواطفه مؤكداً انه يحبك.

حدقت جاكلين في ليزا كالحمقاء وهمست:

- لا... لا.

هزت ليزا رأسها وهي تشعر بنفاد صبرها:

- أرأيت؟ (قالت بصوت ملؤه الأسف) أرأيت ما أقصده. ان احدكما يؤذي شعور الآخر دوماً. انك ترفضين تصديق ما قال. وتفهمين عكس ما يقول. وكأنكما اتخذتما قراراً بأن تشهرا العداء والألم بينكما. انكما تدفنان كل شيء لذيذ يربطكما تحت حاجز من سوء التفاهم. هذا أصبحت لا تلمسين الحقيقة. هذا محزن يا جاكي. وانك غبية.

وبعد تقريع ليزا هذا لم تتفوه جاكلين بكلمة بل اجابت بجفاء:

- شكراً، أشكرك فلقد منحتني الراحة والعطف اللذين كنت أفتقدهما.

اجابت ليزا بصوت رقيق:

- آه يا جاكي. لا استطيع ان أقعد مكتوفة الأيدي وأنا أرى كلا منكما يحطم الآخر. أعلم انك عنيدة ومعتدة بنفسك. ولكن هذا لن يفيدك في شيء صدقيني.

- اذن. لماذا يعاملني هكذا؟ لماذا يهينني بهذا الشكل؟ أعني عندما عاد من لندن. (خفت صوتها، وهي تتذكر تلك الليلة المروعة، وكلماته تحوم كالأشباح من حولها).

- لا أعلم يا جاكي يجب ان يكون هناك سبب ما. اسأليه.

- كيف تقولين هذا يا ليزا؟ وكيف أجرؤ؟

تنهدت ليزا وغيّرت من جلستها:

- استمعي الي يا جاكي. علمني الزواج خلال أربع سنوات ان التفاهم لا يأتي اعتباطاً، يجب ان تسعي اليه. تكلمي... اسألي... ولا تخشي أبداً.

- ولكنني لست متزوجة ماتيو.

- انك تحبينه. هذا هو المهم.

لم تجب جاكلين. نظرت ليزا الى جاكلين وقالت لها:

- تذكري انك أخبرتني انه أتى اليك ليتحدث معك على الشاطىء، ولكنك لم تفسحي له المجال هربت.. لماذا؟ لماذا لم تمنحيه فرصة؟

عادت الذكريات تتلاطم في مخيلتها. احساسها بقربه.. خوفها من ان

تستسلم له مرة أخرى، فيشعر انه ما زال مسيطراً عليها.

- لم أستطع وببساطة لم أستطع.

تنهدت ليزا بائسة:

- انكما من النوع نفسه. لن تفسحا لبعضكما أية فرصة للتفاهم. يجب ان يحطم أحدكما هذه الحلقة المفرغة. انه دورك الآن، أعني اذا كنت تريدينه فعلاً، فيجب عليك ان تفعلي شيئاً قبل فوات الأوان، فهو من البشر أيضاً يا جاكي. اعطه فرصة أخرى. هذا أمر عائد اليك. اذهبي وكلميه. قولي انك آسفة.. قولي شيئاً.

- لا... ليزا اني لا استطيع.

هزت ليزا جاكلين بعنف وهي تمسك كتفيها:

- جاكي عليك ان تختاري بين كبريائك وحبك.

قادت جاكلين في وقت متأخر سيارتها بحذر وببطء تام الى أوسو. مرت بمحطة البنزين ثم بالمخبز وبالكشك. وقف بعض الناس على قارعة الطريق، بينما جلس آخرون يتحدثون. كانت حوامل الخضار فارغة اذ عاد البائعون الى بيوتهم. ترى هل نام ماتيو الآن؟ يجب ان تكلمه قبل أن تخذلها شجاعتها في الغد. كان الظلام مخيماً على غرفة الجلوس الرئيسية. دخلت الصالة بهدوء... فوجدت النور مضاء في غرفة ماتيو. ارتجفت قدماها ومسحت شعرها بيدها، ودفعته الى الخلف، وهي تشعر برطوبته وتعرق جسمها. اني فوضوية المزاج. صبّت لنفسها قليلا من الشراب الخاص بماتيو ثم عادت الى الغرفة وأخذت تفكر بيأس: لا أستطيع ان أتكلم معه، لا أستطيع ان أبوح له بحبي.

وفجأة قررت ان تأخذ دوشاً لتسترد نشاطها. ثم ضحكت في نفسها وقالت: سأدخل اليه بعد الاستحمام فيما اذا استمر ضوء غرفته مشعاً، فهذا سيكون اشارة حسنة. وستجري الأمور على ما يرام. اما اذا أطفأ ضوء حجرته، فان المحاولة ستذهب سدى. كثيراً ما عمدت الى هذه الحلول عندما كانت صغيرة. معتبرة ان القدر يحدد لها تلك الاشارات.

خلعت ملابسها ووقفت تحت الماء البارد الذي أشعرها بالانتعاش. ثم نظفت أسنانها. ارتدت تنورة حريرية وقميصاً ثم حزمت شعرها الى

الأعلى. نظرت الى نفسها بالمرآة، فتاة مدرسية لطيفة، لا تقفي هكذا انعمي اليه. خذلتها على الأغلب شجاعتها. عبرت غرفة الجلوس ماشية على رؤوس أصابعها الى الصالة، وأغمضت عينيها. ثم أخذت تفتحها ببطء. كان الضوء لا يزال مشعاً. زادت دقات قلبها، وملأ الرعب حنجرتها. ماذا سأقول له؟ فكرت وفكرت أخذ غضبها يتفاقم في أعماقها. سيسعفك الكلام هيا... تنفست بعمق وقرعت الباب.
وقدماها ترتجفان.

- من؟
- انني جاكي.

ساد صمت مطبق لبرهة.

- حسناً، ادخلي.

كان جالساً الى مكتبه ببنطاله الجينز وقميصه، والمكيف يدوي في الغرفة ويبردها، أغلقت الباب خلفها بهدوء واستندت اليه.

- حسناً. هل بامكاني مساعدتك؟

كان وجهه ناعماً دون ان يحمل أي تعبير خاص

قالت بصوت متقطع:

- أريد.. ان اعتذر.
- لماذا؟

أصبح صوته اكثر رقة وبعداً...

- اريد ان أعتذر عما قلته في تلك المناقشة الغبية التي خضناها معاً هذا المساء.

حرك رأسه قائلا:

- تناسيها.

كان فمها جافاً:

- لا... لا... لا أريد ان أنساها.

هز كتفيه:

- لا أعلم ماذا تقصدين... افعلي ما يحلو لك.

ان كبرياءه عنيف أيضا. ان ليزا على حق. لقد آلمته بدوري. اما الآن

فانه انسحب ليختفي تحت هذا القناع السخيف من اللامبالاة الذي لا تستطيع ان تتجاوزه. انه لا يريد ان يساعدها لتدارك الموقف، فاعترتها موجة من اليأس، وعضت شفتها حين قال:

- ستغادرين اكرا سريعاً وسينتهي كل هذا.

لم ينظر اليها كانت عيناه متعلقتان بشيء ما على المكتب.

- اني لا أريد ان أغادر أكرا يا ماتيو.

شعرت انها تتهاوى من صخرة عالية الى الأسفل والى الحضيض. أطبقت أجفانها بعنف ثم فتحتها ثانية.

علا وجه ماتيو قناع من اللامبالاة. لم يكن هذا هو الانطباع الذي أخذته وكأنها وقعت في دوامة. لا تستطيع ان تحطم قيودها. حاولت الاحتفاظ بأفكارها واضحة: ولكنها فقدت قدرتها على التفكير. عادت كلمات ليزا تقرع آذانها. يجب ان يزيل أحدكم الحلقة المفرغة. انه دورك الآن. فتدفقت كلماتها دون أدنى سيطرة عليها:

- اني لا أريد ان نتشاجر اكثر من ذلك يا ماتيو. ان هذا مؤلم كثيراً. كم أود ان أغادر أكرا لا لأني أكرهك... ولكن لأن... لأني... عضت شفتها كي تخفف من حدة ارتعاشها، فذاقت دموعها المالحة. أدركت انها تتخاذل هكذا، لأنني لم أعد أحتمل يا ماتيو اكثر من هذا. لقد ظننت انك تتلاعب بي... وتعاملني كفتاة مستهترة.

غطت وجهها بيديها وتساءلت يا الهي ماذا أخبره... سينفجر ساخراً.

قال بصوت منخفض:

- لم تصدقيني.

رفعت رأسها مندهشة لسماع صوته الذي تبدل فجأة ونظر اليها.

- رفضت ان تكلميني ولم أجد وسيلة أخرى أخوض بها غمار نفسك. لم يكن لدي اكثر مما قلت. ولكنك لم تصدقيني. أشاحت بنظرها عنه فلم تحتمل ان ترى الألم واضحاً في عينيه وقالت:
- لا.
- لماذا؟
- لم أكن أتوقع ذلك... ظننت انك...

- اني أقول أسبك لأحتفظ بك في الوظيفة.
- نعم.
- لست أنا يا جاكي الذي يتخذ من الحب وسيلة، نظر اليها بعينين سوداوين داكنتين وقال:
- يكفي ما يعانيه قلبي من مرارة. أريد ان أحيا بالحب.
دايانا انها دايانا دوماً. كان عليها ان تسأله عنها الآن: يجب ان تعلم. . .
- هل أحببت دايانا؟
زم فمه وقال:
- دايانا. . . هل أحببت دايانا؟ لا ليس كلمة حب صحيحة في هذا المجال. كنت مهووساً بها، ومأخوذاً، احمق ومجنوناً وأدركت هذا الآن.
علق أصابعه في شعره وبدا متعباً ومرهقاً. بلعت جاكلين لعابها، وسألته بصوت قلق دون ان تعلم ان كان لها الحق في أن تطرح مثل هذه الأسئلة:
- لماذا انزعجت اذن عندما استلمت رسالتها الأخيرة؟ لماذا لم تفرح ان كل شيء بينكما قد انتهى؟
- جاكي. حاولي ان تفهمي. كان الأمر كاذباً وسخيفاً. لم أفشل في الحصول على شيء قبل الآن. لم أفقد شيئاً مهماً الى الآن عدا تلك الصداقة غير الممكنة. جرح كبريائي وتبدد. . . لم أشعر بمثل هذا الذل أبداً في حياتي. ولكنني أريد ان أعرف لماذا تصرفت أنت بتلك الطريقة يوم عودتي من لندن؟ لماذا فعلت ذلك. لماذا؟
احمر وجهها حرجاً:
- لم أخطط لذلك يا ماتيو. اذا كنت هذا ما تخشاه. لقد حصل ذلك تلقائياً. كان ذلك للمرة الأولى في حياتي.
لم تتجرأ ان تنظر في عينيه.
- لقد أفزعتني.
حدقت به دون ان تفهم وقالت:
- أفزعتك لماذا وكيف؟

- كنت أخشى من انفعالي. من عاطفتي نحوك. فعندما لمستني حركت مشاعري.
اشاحت بوجهها عنه وقالت:
- هل كان ذلك سيئاً للغاية؟
- نعم يا جاكلين انك لا تدركين هذا. لم أثق بعواطفي تجاهك. كما انني لم أثق بعاطفتك نحوي. كنت متضرجاً بالألم والغضب. لقد هزمتني دايانا. فكان عليّ ان ألم فتات نفسي. لم أشأ الارتباط بأي عاطفة جديدة، ما لم أتأكد منها. وعندما التقينا، وكنت بثوب نومك ظننت انك تنسجين شباكك حولي.
- لم أنسج شباكي حولك. . . لا.
نظر ملياً في عينيها، فشعرت بالشلل يزحف اليها، ولم تقاوم نظراته.
قال ببطء:
- آسف لم أفهمك. أعتقد ان الأمور توضحت الآن.
وقف ينظر من النافذة. شعرت جاكلين بالانهاك يسحقها، فجلست على احدى المقاعد الخشبية، ويداها في حضنها. وأدركت ان هذه المحاولة لا تقودها الى شيء. على الأقل انهما يتحادثان بدون مشاجرة. حدقت في ظهره العريض وتساءلت ترى بماذا يفكر؟ بدا كل شيء معقداً للغاية. وفجأة قطع ماتيو حبل تفكيرها:
- تعلمين يا جاكي انني رفضتك عندما أتيت الى هنا لأسباب شخصية، وأخرى تتعلق بالعمل. ولكن ثبت لي فيما بعد انني كنت مخطئاً. (نظر في وجهها وتابع) انك كل شيء. لم تستطع دايانا ان تكونه. لك قلب وعاطفة. (توقف قليلا ونظر اليها بعمق) انك تجيدين عملك، وأعتمد عليك. بدأت أقدرك على المستوى المهني. . . وما لبثت ان أعجبت بك كامرأة. لم أتح لمشاعري ان تتدفق، ولم أعرها أي اهتمام الى ان ذهبنا الى تامال. داهمني شعور مفاجىء بأني أحبك، ولكنني كبحت جماح نفسي وبسرعة. لم أكن مستعداً للحب. لم أشأ ان أتورط وبسرعة للمرة الثانية. ولهذا ارتكبت بعض الأخطاء، (تنهد من أعماقه) لا أعلم ان استطعت ادراك ما جرى بعد هذا الحديث.

- أعتقد هذا.

أصبحت تصرفاته واضحة الآن. ها قد بدأت تفهم لماذا انسحب فجأة عندما كان يعانقها في تامال. لماذا لم يعانقها بعد ان عادا من العشاء يوم عيد ميلادها.

كان ماتيو لا يزال واقفاً أمام النافذة يحملق بها وتابع:

- وكان هناك ديفيد يا جاكلين.

- ديفيد؟

- لم استطع ان أتخيل مدى علاقتكما. لم افكر ان حباً يربطكما لان الاختلاف واضح بينكما.

غصت حنجرة جاكلين باليأس:

- آه يا ماتيو، لماذا يبدو كل شيء معقداً هكذا؟ لم أشأ ان يكون كذلك اني وديفيد...

- أجل. لقد أخبرني ديفيد كل شيء في سهرة حفل الشاطىء.

- ماذا أخبرك؟

- قال انكما صديقان. (وسكت مدة طويلة ثم أضاف) وانك التي أردت ان تستمر علاقتكما كضرب من الصداقة.

هزت رأسها بالايجاب.

- لم يفهم أحدنا الآخر بشكل جيد يا جاكي أليس كذلك؟ واذا قررت البقاء، فانا سنبدأ من جديد. سنأخذ الأمور ببساطة وبلا تعقيد.

- نعم سأبقى.

مد لها يده وقال:

- تعالي الى هنا يا جاكي.

مشت اليه كالمذهولة، ووضعت يديها في يديه.

- انظري الي.

خيم السكون... والتقت عيونهما باحثة عن الحقيقة.

قال بحب وحنان:

- أحبك يا جاكي.

- أحبك يا ماتيو.

لم يحدث شيء خلال اللحظة المؤلمة التي مرت. ثم عانقها بحرارة فشعرت بشرارة تعاود أوصالها، دفنت وجهها في صدره. حتى انها لم تتنفس الا بصعوبة. همهم قائلاً:

- يا الهي. لماذا فعلنا كل هذا ببعضنا؟

وبحركة عنيفة رفع وجهها اليه وعانقها. لم تقاومه... استسلمت اليه بكل قواها. متخلية عن اتزانها. لا يهمها شيء بعد الآن. فموجات الحب تتدفق في أعماقها. أبعدها بلطف ونظر الى وجهها قائلاً:

- آسف يا جاكي لأنني جرحت كبرياءك وآلمتك تلك الليلة عندما عدت من لندن. لم أفهم انك...

- ماتيو...

انهمرت دموعها بغزارة. لم تعد تتحمل أكثر.

- لا تبكي، لا تبكي.

ضمها اليه برقة وأخذ يمسح شعرها بين يديه.

- انك لا تقدر ما هو شعوري؟

لم تسعفها الكلمات لتعبر عن فرحتها وسعادتها.

- أعرف، أعرف.

نظر في عينيها وقال:

- عانقيني يا جاكي.

رفع رأسه بعد لحظات بهدوء ونظر في عينيها بعمق، وهمس بصوت منخفض:

- أحذرك يا جاكي. انه لمن الأفضل ان تقبلي بي زوجاً. واياك ان تقولي انك لا تؤمنين بالزواج.

ضحكت جاكلين برقة وقالت:

- انني متمسكة بالتقاليد التي تخص الزواج. أريد زواجاً حقيقياً، مسجلاً تربطه روابط حقيقة وكل الاجراءات الرسمية.

- رائع، هذا ما كنت أتمنى ان أسمعه.

عانقها بحب وقال:

- انك لطيفة وناعمة وجميلة. وأحبك... أحبك حباً يفوق الوصف.

وفجأة خيم ظلام دامس على الغرفة. ثم توقف صوت المكيف مصدراً شهقة، وكأنه مصاب بالربو همست جاكلين بأذن ماتيو:

- سأحضرَ بعض الشمع.

عانقها بشدة وهمس:

- لا... ليس الآن.

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 160

لولا هيامي

لا تعرف النفس اين تولد وتعيش وتجد السعادة. جاكلين ولدت وترعرعت في غانا ودرست وتخرجت من اميركا. وظل وهج افريقيا يناديها للعودة.

عادت الى أرض الطفولة مسلحة بالمعرفة والخبرة، ولكن صدمتها كانت كبيرة حين قابلت رئيسها الذي رفض كونها انثى وكان قاسياً معها... نأذها وأبدى عدم اعجابه بمؤهلاتها... لماذا؟ سألت جاكلين نفسها، ما سبب هذه الكراهية، هذه الحرب؟ نشب بينهما عداء لا يقاوم... ولكنها لن تعترض لعله يكتشف كفاءتها بنفسه. اخيراً عرفت بأن قلب ماتيو سيمونز مجروح.

ديانا الجميلة رفضته وهجرته، حاولت جاكلين التقرب من ماتيو ففشلت... وعندما قررت الابتعاد فشلت ايضا فقلبها رفض تنفيذ الأوامر!